نجوم الهداية فى بداية السالكين

لطلبة العلم الشريف

آداب أخلاق تصوف

بقلم

محمد جمال الدين عبد الحميد الجاويش

طالب علم بمعهد شبين الكوم

سنة ١٣٦٤ هـ — ١٩٤٥ م

مطبعة مجوب بشبين الكوم

نجوم الهداية فى بداية السالكين

لطلبة العلم الشريف

آداب أخلاق تصوف

بقلم

محمد جمال الدين عبد الحميد الجاويش

طالب علم بمعهد شبين الكوم

سنة ١٣٦٤ هـ — ١٩٤٥ م

مطبعة محجوب بشبين الكوم

فهرست الكتاب

		صفحة
المقدمة		
الباب الأول	العلم وفضله	٤
الباب الثانى	آداب الطالب وما ينبغى له	١٠
الباب الثالث	احترام المشايخ	١٧
الباب الرابع	الجهاد الأكبر	٢١
الباب الخامس	القناعة	٢٩
الباب السادس	مذمة البخل والبخيل	٣١
الباب السابع	تنبيه الغافلين	٣٤
الباب الثامن	الشكر	٣٨
الباب التاسع	مرض القلب وعلاجه	٤٦
الباب العاشر	حكايات وحكم وأمثال	٥٠
الباب الحادى عشر	التصوف	٥٥
الباب الثانى عشر	نبذة فى أقوال مشايخ الصوفية	٥٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى أنار قلوب العارفين بذكره وأفاض عليهم من أسراره وتجلياته وحبب إليهم الايمان وزينه فى قلوبهم ، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون ، وزهدهم فى الدنيا حتى هجروا الأوطان والأهل والأقارب والخلان اشتياقا لرؤيته فى الدار الآخرة فأنسوا بقربه وتلذذوا بمناجاته وسكروا من لذيذ شرابه ، فرحم الله بهم الناس ، فهم نجوم أهل الأرض فى الهداية ، فمن اتبعهم فقد فاز فوزاً عظيما ، فجزاهم الله خير الجزاء ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد شجرة الأصل النورانية وعلى آله وأصحابه ذوى الهمم العالية والعلوم النافعة صلاة وسلاما عدد ما وسعه علم الله ما لاح بدر تمام وفاح مسك ختام (أما بعد) فيقول العبدالفقير ذو التقصير محمد جمال الدين عبد الحميد الجاويش طالب علم بمعهد شبين الكوم بالسنة الأولى الثانوية الشافعى المذهب وهو من بلدة كفر شبرازنجى مركز منوف قد حدثتنى نفسى فى تأليف كتاب فى الآداب والأخلاق والتصوف سميته (نجوم الهدايه فى بداية السالكين) تذكرة لأولى الألباب ، وأرجو من الله أن يكون خالصاً لوجهه الكريم وينفع به المسلمين آمين .

الباب الاول - العلم و فضله

أخى المؤمن : اعلم وفقنى الله وإياك أن العلم أشرف ما يطلب وهو كنز لا يفنيه مر القرون والأعوام به نعرف الحق ونعبده ونقدسه ونسبحه . والعالم حبيب الله وصفيه وخليله ، فالعلم على رأس صاحبه كالتاج على رأس الملك وكالروح للجسد وكالشمس للظلام ، وكلما تفقه يزداد وينمو . قال تعالى « وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين » وكلما ازداد الانسان علما ازداد تواضعاً وبعكس ذلك ازداد ترفعاً والعلم والجهل لا يجتمعان فى قراب واحد . وقد استحال وجود ولى جاهل لقوله صلى الله عليه وسلم (ما اتخذ الله من ولى جاهل ولو اتخذه لعلمه) صدق رسول الله . وأن أفضل ما يتجمل به الانسان العلم فهو ذروة الشرف والكمال ورأس الفلاح والسعادة به يرفع الله أقواما ويضع آخرين ولله در القائل :-

ليس الجمال بأثواب تزيننا   إن الجمال جمال العلم والأدب

وغيره :

ليس اليتيم الذى قد مات والده   إن اليتيم يتيم العلم والأدب

وأن العالم والجاهل لا يستويان وشتان بين هذا وذاك وكفى ذلك دليلا شهادة الحق له حيث يقول « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب » أى أرباب القلوب ألم تسمع قول الكافرين وهم فى السعير ينادون ويصيحون ويقولون (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين وإنما أنا قاسم والله عزوجل يعطى) يقسم العلم عن الله لعباده المؤمنين على قدر استعدادهم والأمداد على قدر الاستعداد وما ننزله إلا بقدر معلوم وقال (ما من يوم تطلع الشمس فيه على ولم

أزدد علماً يقربني إلى الله لم أزدد من الله إلا بعدا) وقال (العلم امام العمل والعمل تابع له) وقال (العلم بالله ينفعك معه قليل العمل وكثيره والجهل بالله لا ينفعك معه قليل العمل ولا كثيره) وقال (ألا وإن أعقل الناس من عرف ربه فأطاعه وعرف عدوه فعصاه) وقال (من عبد الله قبل معرفته ولو تقطعت أبدانه إرباً لم يزدد من الله إلا بعداً) فانظر يا أخي حيث قدم النبي صلى الله عليه وسلم العلم بالله تعالى على جميع العمل وأجمع أهل الحق قاطبة على أن أول الواجبات العلم بالله تعالى واتفقوا على عدم صحة العبادة لمن لا يعرف معبوده وقال تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) وقال تعالى (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم) وقال تعالى (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) وقال تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) وقال تعالى (ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غنى حميد) أعطاه العقل والفقه بسبب واحد وهو الشكر وسيأتى الكلام عليه ان شاء الله فى باب الشكر واعلم يا أخى بأنك تستصغر نفسك وفيك انطوى العالم الأكبر وجعلك الله أشرف ما فى الأكوان علويها وسفليها لتكون مرآة للظهور الكامل والتجلى الشامل ولذلك قال سبحانه وتعالى مخاطباً الملائكة (إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) لا احتجاجاً ولا اعتراضاً على الأرادة الالهية ولكن استفساراً للحقيقة وتساؤلا عن الحكمة حيث نظروا للانسان من جهة ظاهره الجسمانى ولم يفطنوا لما انطوى عليه من السر الروحانى والنور الصمدانى لذلك قال لهم سبحانه وتعالى (إنى أعلم مالا تعلمون ولكونهم لم يسألوا تعنتاً ولا اعتراضاً أراد الله سبحانه وتعالى أن يبين لهم سبب

هذا الاختصاص والرحمة وسر ما تفضل به على آدم من النعمة وأخذ يوقفهم على الحكمة بالفعل بعد أن جاوبهم بالقول (وعلم آدم الأسماء كلها) وهى حقائق أعيان الموجودات ومعانيها من علوية وسفليه لجمعية آدم الأرضية والسماوية ثم عرضهم على الملائكة الذين لا علم لهم الا بالمعانى النورانية والشئون المعناوية ولا قبل لهم بحقائق الكائنات المادية والموجودات الحية (أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال ياآدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم) قال سبحانه وتعالى للملائكة (ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) ثم قال سبحانه وتعالى (وإذ قلنا للملائكة إسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين) ومن البديهى أن الملائكة لم يسجدوا لهيكل آدم الطينى بل هم فى الحقيقة سجدوا لله المتجلى على آدم بنوره وأسمائه وصفاته وكان السجود حينئذ إقرارا وإذعانا بفضل آدم واعترافا باصطفائه وخلافته وعن رب العزة ومن لم تكن فى زيادة من دينه فهو فى نقصان ومن كان فى نقصان كان الموت خيرا له ومن عمل بما علم ورثه الله علم ما لا يعلم وروى عن الحكماء (مجلس علم أفضل من عبادة ستين سنة) وقال غيره (لأن أتعلم مسألة من العلم أحب إلى من قيام ليلة وقال لقمان لابنه يابنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله يحى قلوبهم بنور الحكمة كما يحى الأرض بوابل السماء وروى عن بعض الصالحين أنه قال لو أن رجلا منع من الطعام والشراب ثلاثة أيام هلا يعيش قالوا لا قال كذلك القلب لو منع من العلم يموت قال تعالى (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) ومثل المؤمن والكافر كالحى والميت أعنى أن قلب المؤمن مملوء بالتجليات والعلوم الدينية والأنوار القدسية أما الكافر فقلبه خراب قال تعالى (وبئر معطلة وقصر مشيد)

فالبئر المعطلة قلب الكافر الذى عطل عن ذكر لا اله إلا الله والقصر المشيد قلب المؤمن مشيد بلا اله الا الله ونور العلم ومعانى العقائد من لا اله الا الله وقالوا فى فضل العلم .

العلم يحيي قلوب الميتين ... كما تحيا البلاد اذ ما مسها المطر
والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه ... كما يجلى سواد الظلمة القمر

وغيره :

يا نفس خوضى بحار العلم أو غوصى ... فالناس ما بين معموم ومخصوص
لا شيء فى هذه الدنيا تحيط به ... الا احاطة منقوص بمنقوص

وقال تعالى (وما خلقت الجن والأنس الا ليعبدون) قال ابن عطاء الا ليعرفون وعن رب العزة ما خلقتكم لأستكثر بكم من قلة ولا لأستأنس بكم من وحشة ولكن خلقتكم لتعبدونى طويلا وتسبحونى بكرة وأصيلا وقال (اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلا) وقال (اذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون ومن ذكر الله فى نفسه ذكره الله فى نفسه ومن ذكره فى ملأ من الناس ذكره الله فى الملأ الأعلى .

مالى أرى العلماء وطلاب العلم يبخلون على الناس بالعلم والله سبحانه وتعالى يقول (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من علم علماً وكتمه على الناس ألجمه الله بلجام من نار) وأنا أخشى الناس أن يقولوا بأنى أذم فيكم ولكن أنا لا أذم فيكم ولا أقول الا حقاً ولا أخشى فى الحق لومة لائم قل الحق ولو على نفسك . أنتم عبدتم الدنيا ونسيتم الآخرة وأوتيتم العلم الظاهرى قال

تعالى (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) ولن تقبل منكم لموعظة ولا تؤثر في قلوب السامعين ما دمتم تقولون ما لا تفعلون وتنهون ولا تنتهون قال الله لعيسى عليه السلام عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس وكل كلام برز من القلب يصل إلى القلب ولله در القائل .

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال تعالى (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس . العلماء والأمراء) وقال (مثل العالم الذى لا يعمل كمثل الشمعة تضيء للناس وتحرق نفسها وقال عليه الصلاة والسلام (العلماء ورثة الانبياء) ومن أرشد الناس الى ما علم بعد أن عمل به استحق فضل العلماء الذى ورد فيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (فضل العالم على العابد كفضل القمر على النجوم) وقال الرسول (فضل العالم على العابد كفضلي أنا على سائر أصحابي) وقال تعالى (وعلامات وبالنجم هم يهتدون فنجوم الأرض العلماء والأولياء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما جلس قوم يذكرون الله عز وجل الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة) وروى أن طالب العلم يمشي على الأرض وهي تستغفر له والسماء تدعو له والحيتان تسبح له فيباهي به الله الملائكة فيقول لهم انظروا إلى طالب العلم الشريف حاملا كلامي وسائراً على نهج نبي فادعوا له فيبتهلون بالدعاء له وقال الرسول صلى الله عليه وسلم إن لله ملائكة يمشون في الأرض فاذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل جلسوا معهم وصعدوا إلى سماء الدنيا فيقول الله تعالى على أى حالة تركتم عبادى وهو أعلم بنا لا تخفى عليه خافية فيقولون تركناهم على عبادتك فيقول لهم ماذا يريدون فيقولون يريدون جنتك فيقول لهم هل رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشد شوقاً لها وماذا يستعيذون فيقولون يخافون من نارك فيقولون لهم هل رأوها فيقولون لو رأوها كانو أشد

خوفا منها فيقول لهم أشهدكم ياملائكتى بأنى قد غفرت لهم فيقوم ملك ويقول فلان ليس منهم كان يقضى حاجة فيقول الله سبحانه وتعالى، القوم لايشقى جليسهم » فأنتم الذين ربيتمونى فى بيوتكم وعلمتمونى العلم فالمعلم مربى الروح والأب مربى الجسم وبينهما فرق كثير قال تعالى « فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال » إقرأ الآيتين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سلك طريقا يطلب فيه علما سهل الله له طريقا من طريق الجنة » وقال عليه الصلاة والسلام « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » ويكفى لعامة الناس أن يتعلموا منه بقدر المستطاع كالطهارة والوضوء وإلى غير ذلك من الأحكام الشرعية ولله در القائل

العلم مبلغ قوم ذروة الشرف	وصاحب العلم محفوظ من التلف
ياصاحب العلم مهلا لاتدنسه	بالموبقات فما للعلم من خلف
العلم يرفع بيتا لاعماد له	والجهل يهدم بيت العز والشرف

وقال تعالى « إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم » الآية وقال معاذ بن جبل « تعلموا العلم فان تعلمه حسنة وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لايعلمه صدقة وبذله لأهله قربه ألا إن العلم سبيل أهل الجنة وهو المؤنس فى الوحشة والصاحب فى الغربة والمحدث فى الخلوة والدليل على السراء والمعين على الضراء والزين عند الأخلاء والسلاح على الأعداء يرفع الله به أقواما فيجعلهم فى الخير قادة أئمة تقتفى آثارها ويقتدى بأفعالهم وترغب الملائكة فى خلتهم وبأجنحتها تمسحهم ويصلى عليهم كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوام الأرض وسباع البر والبحر والأنعام لأن العلم حياة القلوب من الجهل ومصباح

الأبصـــار من الظلمة وقوة الأبدان من الضعف ويبلغ بالعبد منـــازل الأخيار الأبرار والدرجات العلى فى الدنيا والآخرة والتفكر فيه يعدل بالصيام ومذاكرته تعدل بالقيام وبه توصل الأرحام وبه يعرف الحلال من الحرام ويكفى ما قدمته لك فى هذا المختصر والله أعلم .

﴿ الباب الثانى - آداب طالب العلم وما ينبغى له ﴾

أخى المؤمن : اعلم وفقنى الله وإياك أن أول ما يطلب منك عبـــادة الله سبحانه وتعالى فأنت خلقت لتكون عبدا مطيعا للواحد القهار قال تعالى « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » فعبادة الله ساعة باخلاص خير لك من الدنيا وما فيها وعليـــك باقامة الصلاة فى أوقاتها قال تعالى « وأقم الصلاة لذكرى» فالصلاة فى الحقيقة هى التوحيد والفرق بين المسلم والكافر الصلاة وهى رأس مالك فأن ضيعتها فقد خسرت خسرانا مبينا وهى رأس العبادات فرضها الله تعالى على حبيبه محمد ليلة المعراج فى المكان الذى كان فيه قاب قوسين أو أدنى بعظم شأنها ولا تتهاون فى آداء الفرائض قال تعالى « إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » وتارك الصلاة يقتل حداً بعد ثلاثة ايام إذا تركها كسلا وينبغى لك أن تحافظ على صلاة الجماعة فى أول كل وقت بالمسجد لتكون ممن تناولهم هذه الآيه قال تعـالى « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر » الآية ولا تهجر مساجد الله بل عمرها بالعبادة لأن الله تعالى يقول « رفعتم بيوتكم وخفضتم بيوتى وآنستم بيوتكم واوحشتم بيوتى فلا أنتم أخيـار ولا أنتم ابرار إنما مثلكم كمثـل القبور المجصصة ظاهرها مليح وباطنها قبيح » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفـذ بخمس وعشرين درجـة ، وفى رواية بسبع وعشرين درجـة وكان

السلف الصالح رضوان الله عليهم يعزون بعضهم ثلاثه أيام على فوات تكبيرة الاحرام وسبعة على فوات صلاة الجماعة ومنهم من كان يصوم ثلاثه أيام أو سبعة أيام وروى عنهم أن رجلا منهم فاتته صلاة الجماعة فحزن حزناً شديداً فأقبل عليه أحد الأحبة فى الله يعزيه على ذلك والطيور على أشكالها تقع والأولياء عرائس ولا يرى العرائس إلا من كان محرما لها فقال له لو مات لى ولد لأقبل على أربعة آلاف رجل يعزونى فى موت ولدى لأن مصيبة الدين عندهم هينة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى أربعين يوما لم تفته تكبيرة الاحرام كتب له براءة من النفاق وبراءة من النار » وينبغى لك أن تقرأ القرآن الكريم كل يوم عقب صلاة الفجر لأن الله تعالى يقول « إن قرآن الفجر كان مشهودا ولك بكل حرف حسنة والحسنة بعشر ولا أقول الم حرف ولكن الالف حرف واللام حرف والميم حرف وقراءته شفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين كما ينبغى أن تعمل بما فيه وتقرأه وانت على طهارة وتتدبر معانيه لكى تكتب عند الله من التالين ويكون شفيعا لك يوم الفزع الاكبر وينبغى لك أن تتمثل بالاخلاق الفاضلة والصفات الحميدة كالكرم والحلم والعفو والصفح لان الكريم قريب من الله قريب من الناس بعيد عن النار وقال ابو بكر الخوارزمى الكريم من أكرم الاحرار والكبير من حقر الدينار ولله در القائل :

ذهاب المال فى حمد واجر ذهاب لايقال له ذهاب

وقيل اجود الناس من بذل المجهود و لم يأس على المفقود وإياك والبخل فأن طيور السماء تحتقر البخيل . شر البخيل كشر من يعبد الصنم وفى المثل الفرنسى البخيل كالخنزير لاينتفع به الابعد موته وقال بعضهم مثل الاغنياء والبخلاء كمثل البغال والحمير تحمل الذهب والفضة وتعتلف بالتبن والشعير ولله در القائل :

أرى الناس اخوان الكريم وما أرى بخيلا له فى العالمين خليل
ومن طلب الحوائج من بخيل كمن طلب العظام من الكلاب

ولأن حلم ساعة يرد سبعين آفة :

ليست الأحلام فى حال الرضى إنما الأحلام فى حال الغضب

وقال الامام على كرم الله وجهه أول عوض الحليم عن حلمه أن الناس أنصاره والحلم هو ضبط النفس عن هيجان الغضب وهو من أحسن الأخـــلاق وأشرفها لما فيه من الراحة للانسان ومن أمثال الانكليز الغضبان غضبه عليه لا له الغضب فى الرجل الصالح قصير المدة قبل أن تغضب أنظر هل من سبب للغضب الحماقة ألد الاعداء والحزم خير الأصدقاء إن اغتظت من شىء فعد عشرة قبل التفوه بالكلام وإن اغتظت جداً عد مئة ولله در القائل :

يخاطبنى السفيه بكل قبح فأكره أن أكون له مجيبا
يزيد سفاهة وأزيد حلما كعود زاده الاحراق طيبا

وقال تعالى « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن » الآية وروى عن الحسن البصرى أن رجلا اغتابه فأرسل إليه طبقا من الرطب وقال أردت أن اكافئك على هديتك وأرجو منك أن تتمثل بالشجرة حيث قالت للشيلى كن مثلى يرمونى بالأحجار وأرميهم بالأثمار وينبغى لك أن تتمثل بخلق خير الأنام فقد كان خلقه القرآن فبعد ما أدبه ربه بكلامه القديم قال له « وإنك لعلى خلق عظيم » كفاه فخراً بهذا شهد له الحق بالخلق الحسن وأثنى عليه ما لم يثن به على أحد من العالمين قال تعالى « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق) وقال الدين الخلق وسئل عن الشؤم قال سوء الخلق وقيل له فلانة تصوم النهار وتقوم

الليل ولكنها تؤذى جيرانها بلسانها فقال إنها سيئة وهى من أهل النار وقال لقمان لابنه يابنى إن الخلق شىء هين وجه طليق وكلام لين وينبغى لك أن تطيع والديك إلا فى المعصية فانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق وتحترمهما وتحسن إليهما ولا تغضبهما فان فى غضبهما غضب الله ولو أن الله علم شيئاً أقل من أف ماقال الله فى كتابه الكريم « فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » ورضا الله فى رضا الوالدين وسخط الله فى سخط الوالدين وينبغى لك أن تحسن النية فى طلب العلم لان النبى عليه الصلاة والسلام قال « من تعلم العلم لأربع دخل النار ، ليباهى به العلماء أو يمارى به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه أو يأخذ به من الامراء المال والحرمة والجاه وقال سفيان الثورى « أول العلم الصمت والثانى الاستماع والثالث الحفظ والرابع العمل والخامس نشره » وينبغى لك ان تجتمع بالناس فى كل مجتمع وتجلس معهم بالادب والاحترام ولا تضحك كثيراً فان كثرة الضحك تميت القلب وعظهم وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين فان قبلوا فقل لهم وان أعرضوا فقد أديت ما وجب عليك وأرجو منك أن لا تجلس على المقاهى وتسمع الملاهى وتتشبه بالرعية ومن تشبه بقوم فهو منهم وكل من ينظر إليك ويعرفك يمقتك وأنت لاتدرى ويحتقرك ويستهزىء بك ويقولون لافرق بيننا وبينه فتسوء الأخلاق فى الأمة بسبب جلوسك على المقاهى وسماعك الملاهى ومن سمع مزامير الدنيا لم يسمع مزامير الآخرة وقال عليه السلام « بعثت بابطال المزامير » ويقول « لعن الله الزامر والمستمع » وينبغى لك أن تستقيم فى دروسك ومعاملتك للناس وتتمسك بكتاب الله وسنة رسوله فتكون قدوة للناس فقد روى أن طالب العلم تحفه الملائكة فلا تؤاخذنى فى هذه الأيام أن أقول تحفه الشياطين ومعنى ذلك أنه وقع فى أيديهم كالكرة بحبه للدنيا

كرة طرحت بصوالجة　　　فتلقفها رجل رجل

وأعنى بالكرة طالب العلم المطيع للشيطان والرجل الذى تلقف الكرة إبليس وجنوده فمالى أراكم ضيعتم الأوقات فى اللهو واللعب والاضرابات وتدخلتم فى شئون السياسة تحبون الفوضى وتتهاونون بأمور الدين وتطلبون العلم لأجل الوظائف وتهتفون بغير اسم الله الأعظم .

هل نسيتم جهنم التى أعدت للكافرين ولا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أمضاه وعن ماله من أين اكتسبه و فيما أنفقه فأرجو منكم أن تقوموا من الغفلة واستعدوا للرحيل ارفعوا الأعلام وهيا بنا إلى المعالى نحو أبواب السماء :

واخلعوا الجسم وطيروا　　　واهجروا كون الفناء

ولقد رأيت مشايخنا وهم يدرسون لنا الفقه أو التوحيد أو الحديث أو أى مادة نسأم من سماع العلم ونعطل على الشيخ ونقول له أخبرنا عن تاريخ حياتك فيسكت الشيخ عن الدرس ويخوض بنا فى أحاديث الدنيا والسبب فى ذلك أن الشيطان يكره العلم فيأتى طالبا يوسوس له ويقول له اسأل الشيخ فى غير ما هو فيه لكى يتعطل وفى المثل شيطان الانس شر من شياطين الجن فاذا لم يقدر الشيطان على ضياع مجلس العلم يأتى شيطانا إنسيا فيوحى إليه بافساد مجلس العلم فيجب عليك أن تعرف عدوك وتخالفه لأنه قال « لأغوينهم أجمعين » . فاذا مضت الحصة تقول لم نفهم شيئا من الشيخ وأنى أقول لكم اسمعوا وعوا واعملوا هل لو قدمتم للبهائم ياقوتا ومرجانا هل يقبلون عليه ويأكلونه لا . بل لو قدمتم تبنا وماء يقبلون عليه ويتغذون منه وهكذا نحن وأنا أولكم الشيخ يقدم إلينا العلم وهو أفضل من الياقوت والمرجان فلا نقبله ونخوض معه حتى يخرج بنا إلى الدنيا ويقدم لنا لهواً ولعباً ولغواً فعند ذلك نقبله ونأكله

وتحفظه حفظا جيداً فأرجو من الله أن يوفقنا لما يرضيه وينبغي لك أن تطهر قلبك من ثلاث وهي أصل المعاصي فالأول أن تطهر قلبك من الكبر لأنه قد أهلك من قبلك حينما أمر ابليس بالسجود لآدم وكان طاووس الملائكة فلم يسجد وقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فعند ذلك طرد من رحمة الله وقال له الحق « فاخرج منها فانك رجيم وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين » واعلم بأن الكبر من أخلاق الكفار والفراعنة والتواضع من أخلاق الأنبياء والصالحين لأن الله تعالى وصف الكفار بالكبر فقال « إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون » وقال « إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين . فبئس مثوى المتكبرين » وقال إنه لا يحب المتكبرين وقد مدح الله عباده المؤمنين بالتواضع فقال (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » أعني متواضعين مدحهم بتواضعهم وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالتواضع فقال (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) ومدح النبي صلى الله عليه وسلم بخلقه وكان خلقه التواضع فقال (وإنك لعلى خلق عظيم) الثاني أن تطهر قلبك من الحسد لأن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب فأول ما حسد قابيل بن آدم وقصته مشهورة وهي أن حواء كانت تلد في كل بطن ذكراً وأنثى وكيفية الزواج بأن يتزوج ذكر كل بطن من أنثى غير التي كانت معه في حمل واحد فصادف الأمر بأن هابيل تزوج أخت قابيل وكانت اخته جميلة عن أخت هابيل لحسده على هذه النعمة وأغواه الشيطان على قتله وقال بعض الحكماء إياكم والحسد فان الحسد أول ذنب عصى الله تعالى به في السماء وأول ذنب عصى الله تعالى به في الأرض وكان أول ذنب عصى الله تعالى به في السماء لدى إبليس حين أبى أن يسجد لآدم وأما الذي في الأرض فهو قابيل بن آدم حين قتل أخاه هابيل حسداً وهو قوله تعالى

(واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق) اقرأ القصة وقال الأحنف بن قيس « لاراحة لحسود ولا وفاء لبخيل ولا صديق لملول ولا مروءة لكذوب ولا رأى لخائن ولا سؤدد لسوء الخلق » الثالث أن تطهر قلبك من الحرص لأن الحرص كان أصله من آدم عليه السلام حين قيل له الجنة كلها مباحة لك إلا هذه الشجرة فحمله الحرص على أكلها حتى أخرج منها ومن أصبح حريصا على الدنيا لم يزدد من الله إلا بعداً وفى الدنيا إلا كداً وفى الآخرة إلا جهداً . ومن أصبح حزينا على الدنيا فكأنما أصبح ساخطا على الله ومن طال أمله بخس عمله وينبغى لك أن تتمسك بقول الرسول عليه الصلاة والسلام (حق المسلم على المسلم ستة أشياء) قيل ماهى يارسول الله قال (إذا لقيته فسلم عليه وإذا دعاك فأجبه وإذا استنصحك فانصح له وإذا عطس فحمد فشمته وإذا مرض فعده وإذا مات فاتبعه وينبغى لك أن تصلح بين المسلمين قال تعالى (إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) وعن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال (ألا أنبئكم بصدقة يسيرة يحبها الله تعالى قالوا بلى يارسول الله قال إصلاح ذات البين إذا تقاطعوا) وروى عن بعض الصحابة رضى الله عنهم أنه قال من عجز عن ثمانية فعليه بثمانية أخرى لينال فضلها أولها من أراد فضل صلاة الليل وهو نائم فلا يعصى بالنهار والثانى من أراد فضل صيام التطوع وهو مفطر فليحفظ لسانه من اللغو والثالث من أراد فضل العلماء فعليه بالتفكر والرابع من أراد فضل المجاهدين والغزاة وهو قاعد فى بيته فليجاهد الشيطان والخامس من أراد فضل الصدقة وهو عاجز فليعلم الناس ماسمع من العلم والسادس من أراد فضل الحج وهو عاجز فليلزم الجمعة والسابع من أراد فضل العابدين فليصلح بين الناس ولا يوقع بينهم العداوة والبغضاء والثامن من أراد فضل الأبدال فليضع يده على صدره ويرضى لأخيه مايرضى لنفسه وآخر ما أقدمه

أن تتقى الله فى السر والعلانية وتمتثل أوامره وتجتنب نواهيه فيعلمك الله علم مالا تعلم اتقوا الله ويعلمكم الله « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وأرجو من الله أن يختم لجميع المسلمين بالايمان آمين »

الباب الثالث — احترام المشايخ

أخى المؤمن اعلم وفقنى الله وإياك أنه ينبغى للمتعلم او المريد أن يحترم شيخه اكثر من والديه ويوقره لأن الشيخ مربى الروح وأما الاب فمربى الجسم والفرق بينهما ظاهر ولذا قال بعضهم :

أقدم استاذى عـلى فضل والدى وإن نالنى من والدى العز والشرف
فذاك مربى الروح والروح جوهر وذاك مربى الجسم والجسم كالصدف

وينبغى لك أن تقف عند حدك ولا تلح على الشيخ فى السؤال فأن فى ذلك سوء أدب من المريد والمتعلم ألم تسمع قصة موسى مع الخضر عليهما السلام فى قول الله تعالى « هل اتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا » قال الامام القشيرى لما أراد صحبة الخضر « حفظ شرط الأدب » فاستأذن أولا فى الصحبة ثم شرط عليه الخضر أن لا يعارضه فى شىء ولا يعترض عليه فى حكم ثم لما خالفه موسى عليه السلام تجاوز عنه فى المرة الاولى والثانية فلما صار إلى الثالثة والثلاثة آخر حد القلة وأول حد الكثرة فقال هذا فراق بنى وبينك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أكرم شاب شيخا لسنه إلا قيض الله تعالى له من يكرمه عند سنه » قال أبو على الدقاق رحمه الله تعالى « بدء كل فرقة المخالفة يعنى به أن من خالف شيخه لم يبق على طريقته وانقطعت العلقة بينهما وإن جمعتهما البقعة فمن صحب شيخا من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة ووجبت عليه التوبة على أن الشيخ قالوا عقوق الاستاذ

لا توبة عنها ، واعلم أن من دخل فى صحبة المشايخ الصوفية ينبغى له أن يراعى آداب صحبتهم لأنهم جلساء الله تعالى قال فى نزهة المجالس قال صلى الله عليه وسلم « من أراد الجلوس مع الله فليجلس مع أهل التصوف قال الجنيد قدس سره « من جالس هذه الطائفة ثم لم يتأدب معهم سلب منه نور الايمان وابتلاه الله تعالى بالمقت ومن آداب المريد والمتعلم أن لا يكثر التردد عند الشيخ وإذا دخل عليه لحاجة فلا يكثر الجلوس إلا باذنه ومع ذلك يلزمه الأدب لأن التردد ينافى المحبة ويلزمه الاطلاع على أحوال الشيخ من قيامه وقعوده وأكله وشربه وعبادته وغير ذلك فلو اطلع عليه ورآه يعمل معصية وانكر عليه بقلبه فانه يحرم من بركاته ولذلك كان بعض المتقدمين قبل أن يحضر مجلس أستاذه يتصدق ويقول اللهم استر عيب شيخى ولا تذهب بركة علمه منى وينبغى لك أن تخص الشيخ بالتحيه والاحترام والتعظيم وتجلس أمامه بأدب وخشوع واعلم بأن الشيخ كالمطر للزرع فلا تقل لم أستفد شيئا منه فأن فى ذلك سوء أدب فلو أخلصت له لرأيت العلوم اللدنية فى قلبك وينبغى لك أن تلين القول لاستاذك فالعلماء ورثه الأنبياء فالعالم كالنبى والطالب أو المريد كالصحابى قال تعالى «يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون وينبغى لك لو أن شيخك ضربك وشتمك فلا تحتقره وتؤذيه وتسبه فانه كوالدك يضربك لمصلحتك وأنت لا تشعر كالطفل الصغير يلعب فى التراب فتتسخ ملابسه فوالدته تنظفه وتلبسه ملابس نظيفة وهو لا يشعر لصغر عقله والشيخ كالطبيب يصف الدواء لكل داء وقال تعالى «فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » والشيخ كالوالدين بل الشيخ أفضل لما عرفت

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (رضا الله فى رضا الوالدين وسخط الله فى سخط الوالدين) نحن اتفقنا على أن الشيخ أفضل من الوالدين فعند ذلك نقول رضا الله فى رضى الشيخ وسخط الله فى سخط الشيخ وينبغى لك قبل أن تحضر الدرس أن تطهر قلبك من الخبائث ليصلح لقبول العلم وحفظه واستثماره فقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (ألا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله) ألا وهى القلب وقد أحسن القائل ، يطيب القلب للعلم كما تطيب الأرض الزراعة ، وينبغى لك أن تتواضع لمعلمك وتتأدب معه وإن اسأت إليه فاذهب إليه واستعطفه واعتذر اليه بجهلك لكى يرض عنك فنى رضاه رضا البارى وطاعته ولا تحتقر المدرس لصغر سنه أو عدم شهرته إلى غير ذلك وأرجو منك أن تتواضع للعلم وتتق الله فتقراه تدركه وقد قال الامام الشافعى رضى الله عنه

شكوت إلى وكيع سوء حفظى   فأرشدنى إلى ترك المعاصى
وأخبرنى بأن العلم نور   ونور الله لايهدى لعاصى

وينبغى لك أن تنقاد لشيخك وتشاوره فى أمورك قال تعالى (وشاورهم فى الأمر) وتسمع لقوله كالمريض العاقل يقبل قول الطبيب الناصح الحاذق وهذا اولى وعليك أن تنظر إلى معلمك بعين الاحترام لأن النظر إلى العالم عبادة وتعتقد كمال أهليته ورجحانه على طبقته فانه اقرب إلى انتفاعه به وقال الربيع صاحب الشافعى رحمهما الله تعالى ، مااجترأت على ان أشرب الماء والشافعى ينظر إلى هيبة له وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه (من حق المعلم عليك أن تسلم على الناس عامة وتخصه دونهم بتحية وأن تجلس امامه ولا تشيرن عنده بيدك ولا تغمزن بعينيك ولا تقولن قال فلان خلاف ماتقول ولا تغتاب عنده أحد ولا تشاور جليسك فى مجلسه ولا أخذ بثوبه إذا قام ولا تلح عليه إذا كسل وينبغى ان تتأدب بهذه الخصال التى أرشد إليها

على كرم الله وجهه وأن ترد الغيبة عن شيخك إن قدرت فان تعذر عليك ردها ففارق ذلك المجلس وينبغى لك أن لاتدخل على الشيخ كامل الخصال متصفاً بالأخلاق الطاهرة والصفات الحميدة متطهراً مستعملا للسواك لأن السواك مطهرة للفم ومرضاة للرب وهو سنة عن النبي عليه الصلاة والسلام وندرسه فى الأزهر ولا يستعمله منا إلا القليل فلو عرفوا فوائد السواك لاشتروه بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة فارغ القلب من الأمور الشاغلة والا تدخل على الشيخ بغير استئذان وينبغى لك أن تتأدب مع أصحابك وتقعد بين يدى الشيخ قعدة المتعلمين لاقعدة المعلمين ولا ترفع صوتك من غير حاجة إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ولا تضحك ولا تكثر الكلام من غير حاجة ولا تعبث بيدك أو بغيرها ولا تلتفت يمينا ولا شمالا من غير حاجة بل تكون متوجها للشيخ مصغيا إلى كلامه وينبغى لك أن تتحمل غضب الشيخ وسوء خلقه ولا يصدك ذلك عن ملازمته واعتقاد كماله وتأول لأفعاله وأقواله التى ظاهرها الفساد تأويلات صحيحة فما يعجز عن ذلك الا قليل التوفيق وان جفاك الشيخ ابتدأ أنت بالاعتذار للشيخ واظهر أن الذنب لك والعتب عليك فذلك أنفع لك فى الدنيا والآخرة وأنق لقلب الشيخ وقد قالوا . من لم يصبر على ذل التعلم بقى عمره فى عماية الجهالة ومن صبر عليه آل أمره الى عز الآخرة والدنيا ومنه الأثر المشهور عن ابن عباس رضى الله عنهما : ذللت طالبا فعززت مطلوبا وقد أحسن من قال :

من لم يذق طعم المذلة ساعة ... قطع الزمان بأسره مذلولا

واعلم بأن وجود الأولياء والضعفاء والفقراء رحمة بالناس قال عليه الصلاة والسلام «لولا شباب خشع وبهائم رتع وشيوخ ركع وأطفال رضع لصب عليكم العذاب صبا» ونظم بعضهم ذلك فقال :

لولا عباد للاله ركع ... وصبيه من اليتامى رضع

ومهلات فى الفلات رتع . صب عليكم العذاب الاوجع

وفى الختام أرجو من الله أن يكرمنا ببركة مشايخنا ويختم لجميع المسلمين بالايمان آمين

الباب الرابع ـــ الجهاد الأكبر

أخى المؤمن اعلم وفقنى الله وإياك أن الجهاد الحسى فرض عين إذا دخل الكفار بلادنا وثواب الجهاد عظيم قال تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله) الآية أما الجهاد المعنوى فالكلام فيه اعلم أن الأعداء قد دخلوا القلوب وانتصروا علينا ليفسدوها فانتبه لذلك يحكى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان فى غزوة يحارب الكفار امتثالا لأمر ربه حيث قال له « يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم » الآية فبعد انتهاء الغزوة قال لأصحابه لقد رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر وهو جهاد النفس والشيطان والدنيا والهوى فنبدأ بالكلام على النفس والهوى فنقول اعلم أن نفسك التى بين جنبيك أعدى أعدائك فاحذرها لأنها أسحر من هاروت وماروت فاذا التبس عليك أمران فاتبع أثقلهما على النفس فانه لا يثقل عليها إلا ما كان حقا وكما أن النفس لها حظ فى المعصية ظاهر جلى ولها فى الطاعة أيضا باطن خفى وما يخفى صعب علاجه فيجب عليك أن تشمر لها وتطلقها وتخالفها وتذللها وتلجمها بلجام من حديد عسى أن تنقاد لك وتصير نفسا مطمئنة تأمرك بالمعروف وتنهاك عن المنكر أما نفسك الأمارة بالسوء فلا تتبعها فى كل ما تطلب منك ولو فى الطاعة تصديقا لكلام رب العالمين إذ يقول ان النفس لأمارة بالسوء يحكى عن بعض الصالحين أنه كان فى خلوته فدعته نفسه وقالت يا فلان قم وجاهد فى سبيل الله اعلاء لكلمته فلم يجبها وأعرض عنها ولم يصدقها لأنه واثق بكلام رب العالمين وقال يارب أرنى

الحق حقا لجاء الحق وزهق الباطل السبب فى طلبها منه أنها أرادت ان تسترع منه لأنه مخالف، لها فى جميع الحالات وأن تظهر بالشجاعة والقوة ليقال عنها فلان شجاع ولا يهاب الموت والنفس لها مكائد كثيرة فهى أقوى من الشيطان عليك لأن الشيطان يفارقك فى رمضان والنفس لا تفارقك فاذا طالبتك نفسك وقالت لك حج تنفلا فأنت تجيب دعوتها وان قيل لك تصدق فى السر بذلك شق عليك لان أمر الحج يرى فللنفس فيه حظ والصدقة تطوى وتنسى وكذلك درسك العلم لغير الله فانك تدرس الليل كله ونفسك راضية بذلك فاذا قيل لك صل بالليل ركعتين شق ذلك عليك لأن الركعتين بينك وبين الله ليس فيهما للنفس حظ والقراءة والدرس للنفس فيهما حظ مشاركة الناس فلأجل ذلك خفف عليها والعجب كل العجب من عبد يقبل على صحبة نفسه ولا يأتيه الشر إلا منها ويترك صحبة الله ولا يأتيه الخير إلا منه ومن علامات اتباع الهوى المسارعة إلى نوافل الخيرات والتكاسل عن القيام بالواجبات وأصل كل معصية وغفلة وسهو الرضا عن النفس وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا منك عنها ولأن تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه أحب إليك من عالم يرضى عن نفسه فأى علم لعالم يرضى عن نفسه وأى جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « أخوف ما أخاف على أمتى اتباع الهوى وطول الأمل » فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق وأما طول الأمل فينسى الآخرة رؤى بعضهم واقفا فى الهواء فسئل عن سبب ذلك فقال كنت أقذف الهوى تحت قدمى فجمع لى فرفعنى ثم اعلم أن مخالفة النفس رأس العبادة قال تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فان الجنة هى المأوى) وقال ابن عطاء « النفس مجبولة على سوء الادب والعبد مأمور بملازمة الادب » فالنفس تجرى بطبعها فى ميدان المخالفة والعبد يردها بجهده عن سوء المطالبة فمن أطلق عنانها فهو

شريكها فى فسادها وقال الجنيد ، النفس الامارة بالسوء هى الداعية إلى المهالك المعينة للأعداء المتبعة للهوى المتهمة بأصناف الأسواء ، وقال ابو حفص قدس سره ، من لم يتهم نفسه على دوام الاوقات ولم يخالفها فى جميع الاحوال ولم يجرها إلى مكروهها فى سائر أيامه كان مغروراً ومن نظر إليها باستحسان بشىء منها فقد أهلكها ، وكيف لشيخ عاقل يرض عن نفسه والكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم خليل الرحمن يقول ، وما أبرئ نفسى ، الآية وقد تقدمت وأرجو من الله ان ينصرك على نفسك وهواك لتكون من الفائزين آمين .

(عداوة الشيطان ومعرفة مكايده) اعلم وفقنى الله وإياك ان أصل الفساد وسفك الدماء والمعاصى من إبليس سلطه الله على بنى آدم ليمتحن الناس به ويعرف الصادق من الكاذب وهو عالم به قال تعالى (الم احسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم) الآية وإبليس فى الأصل كان من العابدين فرفعه الله على الملائكة وجعله طاووسا عليهم فلما خلق آدم من روح الله وخلقه من طين أمر الملائكة بالسجود له سجود تعظيم لا سجود عبادة وآدم كالقبلة فالسجود لله فسجدوا له إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين قال يا ابليس مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى استكبرت أم كنت من العالين قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها فانك رجيم وإن عليك لعنتى إلى يوم الدين قال رب فانظرنى إلى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وقال (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) وقال عدو الله (لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين)

فعندما سمع الملائكة هذه المقالة حزنوا على بنى آدم فقال لهم بقى ولم يتمكن منهما الفوقية والتحتية فاذا نظر إلى ودعا باخلاص أجبت دعوته وإذا سجد فأنا قريب منه فعند ذلك فرحوا . فاذا عرفت عدوك فينبغى لك أن تخالف هذا الملعون الذى لاينفعك بل يصدك عن ذكر الله وعن الصلاة وعن كل عمل يقربك إلى رضوان الله واستعذ بالله من شره لانه لايفارقك إلاعند خروج الروح ويجاهد هو وأعوانه عند النزع ويتصورون بصورة أبيك وأمك أواحبابك وخلانك ومجالسك التى كنت تجلس فيها فى دار الدنيا ويقول لك أبوك يقول لك مت على دين النصارى وتقول لك أمك مت على دين اليهود فهو خير الأديان أحدهما على الجانب الأيمن والأخرى على الجانب الأيسر فان كنت مؤمنا وزهدت فى دار الدنيا تأتيك البشرى من الله فتنطق بالتوحيد وان كنت عبدا للشيطان مت على أى دين كان وإذا اتبعت الشيطان وأمنيته فسيتبرأ منك يوم القيامة ويخطب خطبته المشهورة قيل ينصب له منبر فى جهنم ويقول لجنوده وأتباعه قول الله تعالى (وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق) الآية وأرجو منك أن تحارب هذا الشيطان الملعون الذى يراك ولا ينام عنك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الشيطان يجرى فى ابن آدم مجرى الدم فضيقوا عليه بالصوم » وقيل ان الشيطان يدخل فى صدور الجن كما يدخل فى صدور الانس فيوسوس فى صدورهم فاذا ذكر الله خنس وخرج من صدورهم وينبغى للعاقل أن يعرف صديقه من عدوه فيطيع صديقه ولا يتبع عدوه فانه يقال علامة الجاهل أربعة أشياء أحدهما الغضب من غير شيء والثانى اتباع النفس فى الباطل والثالث انفاق المال فى غير حق والرابع قلة معرفة صديقه من عدوه يعنى يختار طاعة الشيطان على طاعة الله فبئس البدل طاعة الشيطان على طاعة الله تعالى وقال تعالى (افتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس

الظالمين بدلا) وعلامة العاقل أربعة أشياء الحلم عن الجاهل ورد النفس عن الباطل وانفاق المال فى حقه ومعرفة صديقه من عدوه وذكر عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى أنه قال أمر الله تعالى إبليس أن يأتى محمدا عليه الصلاة والسلام ويجبه عن كل مايسأله فجاء على صورة شيخ وبيده عكاز فقال له من أنت قال أنا إبليس فقال لماذا جئت قال إن الله أمرنى أن آتيك واجيبك عن كل ما تسألنى فقال النبي عليه الصلاة والسلام ياملعون كم أعداؤك من أمتى قال خمسة عشر اولهم انت والثانى امام عادل وغنى متواضع وتاجر صادق وعالم متخشع ومؤمن ناصح ومؤمن رحيم القلب وتائب ثابت على التوبة ومتورع عن الحـــرام ومؤمن يديم على الطهارة ومؤمن كثير الصدقة ومؤمن حسن الخلق مع الناس ومؤمن ينفع الناس وحامل القرآن يديم على تلاوته وقائم بالليل والناس نيام ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم ومن رفقاؤك من أمتى قال عشرة أولهم سلطان جائر وغنى متكبر وتاجر خائن وشارب الخمر والقتات وصاحب الزنا وآكل مال اليتيم والمتهاون بالصلاة لأنه قال (لأقعدن لهم صراطك المستقيم) يعنى الصلاة ومانع الزكاة والذى يطيل الامل فهؤلاء اصحابي واخوانى وقال تعالى (يا بنى آدم لايفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة) وقال فى آية أخرى (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) وقال ابن عطاء الله واذا علمت أن الشيطان لايغفل عنك فلا تغفل أنت عمن ناصيتك بيده جعله لك عدوا ليوحشك به اليه وحرك عليك النفس ليدوم اقبالك عليه وأرجو من الله أن ينصر المسلمين من ابليس آمين .

(العدو الرابع الدنيا) اعلم وفقنى الله وإياك أن شهوات الدنيا وملذاتها فى ستة أشياء : الأول العسل والشرب والطيب والحرير والنكاح والمـــلاهى أما العسل فلو بحث عنه وجدته قذارة حشرة صغيرة وهى النحلة والماء استوى فيه الحيوان والانسان فى الشرب والخلقة . والطيب من فأرة الغزال . والحرير من

دودة القز التي يأنف منها الانسان والنكاح ما أقذره ماء فى ماء والملاهى حجاب عن رؤية الله فى الدنيا والآخرة هذه متاع الحياة الدنيا الفانى ما أهونها عند الله فلو كانت تزن جناح بعوضة عند الله ما سقى الكافر منها شربة ماء. وقال أزهد خلق الله عليه الصلاة والسلام الدنيا جيفة قذرة وحلوة خضرة حلوة خضرة عند أهل الغفلة وجيفة قذرة عند العقلاء. حلوة خضرة عند النفوس جيفة قذرة عند أبصار القلوب حلوة خضرة للتحذير وجيفة قذرة للتنفير فلا تخدعنكم بحلاوتها فان عاقبتها مرة

هى الدنيا تقول بملء فيها　　حذار حذار من بطشى وفتكى

فلا يغرركم منى ابتسام　　فقولى مضحك والفعل مبكى

قال تعالى « فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور » وقال مالك بن دينار (حب الدنيا رأس كل خطيئة) وقال عليه الصلاة والسلام (عش فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) صدق الرسول لأن هذه الدار ليست دار مقر بل هى دار ممر فأصل مقرك الجنة قال الامام على كرم الله وجهه :

جسمى معى غير أن الروح عندكم　　فالجسم فى غربة والروح فى وطن

هلمى أيتها الأرواح إلى أوطان الكمال والسعادة والبقاء. واهجرى الأكوان واخلعى ثيابها والبسى لباس التقوى ذلك خير واسبق ريح الشمال فى ميادين الفضاء وطلق الدنيا ثلاثاً لا رجعة لها ولله در القائل :

دع الدنيا وما فيها　　تجد عندنا نعيما مقيما

فكل ما يشغلك عن ذكر الله فهو دنيا كالدنانير والدراهم والنساء وكل شهوة فانيـة . مالى أراكم تعبدون الدنيا والدراهم والدنانير والله خلقها لكم لتأكلوا منهـا الرزق وتلبسوا منها الثياب وتشكروا بها النعم وتجعلوها عوناً لطاعة ربكم وتهربوا بها من ناره بل أخذتم الدنيا فتقويتم بها على المعاصى ورفعتم بيوتكم وخفضتم بيوت ربكم فلا أنتم أخيار ولا أنتم أبرار . ياعباد الدنيا وأموالها إنما مثلكم كمثل القبور

المجصصة ظاهرها مليح وباطنها قبيح فلو سألنى سائل وقال لى لماذا قلت ياعبادالدنيا فأقول كما قال ابن عطاء الله اذا أحببت شيئاً كنت له عبدا والله يحب أن تكون له عبدا ومن أصبح على الدنيا حريصاً لم يزدد من الله إلا بعداً وفى الدنيا إلا كدا وفى الآخرة إلا جهدا . ومن أصبح حزيناً على الدنيا فكأنما أصبح ساخطاً على والله أوحى إلى الدنيا وقال لها استخدمى الحريص واخدمى الزاهد فيك . قال تعالى « وتحبون المال حباً جماً وستفارقونه عند الموت واعلم أن لك ثلاثة أخلاء أحدها المال تفارقه عند الموت . الثانى العيال والأهل والاحباب والخلان يتركونك عند القبر والثالث عملك لا يفارقك أبدا واصحب من يدخل معك فيسرك وتأتنس به فالعاقل من اتبع أوامر الله واجتنب نواهيه ومثال الدنيا كأناء فيه حلو فالذباب يتساقط فيه حباله فيغرق فالدنيا بحر والآخرة ساحل والمركب التقوى والناس سفر فالذباب الذى يتساقط فى الاناء هم عباد الدنيا وفى بعض الاحيان أرى ذبابة خرجت من الاناء ولماذا فأقول هذه الذبابة تماثل الشخص الذى غرق فى حب الدنيا ومكرها فخرج منها بتوفيق ربه وطلقها وجاهد فى سبيل الله واعلم بأن بنى اسرائيل عبدوا الاصنام لحبهم فى الدنيا ولله در القائل .

لادار للمرء بعد الموت يسكنها	إلا التى كان قبل الموت يبنيها
فان بناها بخير طاب مسكنه	وإن بناها بشر خاب بانيها
النفس ترغب فى الدنيا وقد علمت	أن الزهادة فيها ترك ما فيها
فاغرس أصول التقى مادمت مجتهداً	واعلم بأنك بعد الموت لاقيها

قال بعض الحكماء الزهد ثلاثة أشياء أولها معرفة الدنيا والترك لها والثانى خدمة المولى والأدب فيها والثالث الشوق إلى الآخرة ثم الطلب لها وقال رسول الله صلى الله علية وسلم ياعلى اربعة خصال من الشقاء جحود العين وقساوة القلب

وحب الدنيا و بعد الأمل وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال الدنيا سجن المؤمن والقبر حصنه والجنة مأواه والدنيا جنة الكافر والقبر سجنه والنار مأواه أعطاك فمنعك من الآخرة منعك من الدنيا أعطاك من الآخرة وذكر عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه يابنى إن الدنيا بحر عميق غرق فيها الأولون والآخرون فاجعل سفينتك فيها تقوى الله تعالى وروى عن الفضل بن عباس رحمه الله تعالى أنه قال بلغنا أنه يجاء بالدنيا يوم القيامة تتبختر فى زينتها وبهجتها فتقول يارب اجعلنى لأحسن عبادك دارا فيقول الله عز وجل لاأرضاك دارا لهم أنت لاشىء كونى هباء منثورا واعلم بأن الدنيا دار من لادار له يفرح بها من لاعقل له ويحرص عليها من لايقين له من أحب نعمة زائلة وشهوة فانية وحياة منقطعة فقد ظلم نفسه ونسى آخرته وعصى ربه وروى عن عيسى عليه السلام أنه قال (عجبا لكم تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير عمل ولا تعملون للاخرة وأنتم لاترزقون فيها بغير عمل) وقال الحسن البصرى رضى الله عنه (الدنيا كلها من اولها إلى آخرها كرجل نائم رأى فى المنام مايسره فقام فلم يجد شيئا فالدنيا تمر كمر السحاب وأنت لاتشعر فكل يوم يمر عليك ينقص من عمرك وأنت لاتدرى وتفرح بكر الأيام . .

يسر المرء ماذهب الليالى ... وكان ذهابهن له ذهابا

ومن ترك الدنيا عاش عيشة سعيدة واستراح من نكباتها وقال أبو زيد البطاسى قدس سره « زهدت ثلاثة أيام اليوم الأول الدنيا وما فيها اليوم الثانى الآخرة وما فيها اليوم الثالث قال لى الحق قف هنا لازهد فينا وإلينا المنتهى » خل نفسك وتعال ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا رغم أنفه وهو لا يريدها ومن طلب الدنيا خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين واعلم بأن الآخرة خير وأبقى ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم وإنما جعل الدار الآخرة محلا لجزاء عباده المؤمنين

لأن هذه الدار لا تسع ما يريد أن يعطيهم ولأنه أجل اقدارهم عن ان يجازيهم فى دار لابقاء لها وسميت دنيا لدناءتها وخستها ياابن آدم اعلم ان الذى تبنيه للخراب وان عمرك عارية وجسدك للتراب وما جمعته للورثة فالأكل منه والنعيم لغيرك والحساب عليك والعقاب والندم والصاحب لك فى القبر العمل فحاسب نفسك قبل أن تحاسب والزم طاعتى واحذر معصيتى وارض بما يأتيك وكن من الشاكرين وأرجو من الله أن يخرج حب الدنيا من قلوب المسلمين ويمد علينا بمحبته آمين .

الباب الخامس — القناعة

أخى المؤمن اعلم وفقنى الله وإياك أن القناعة شرف الانسان فى الدنيا ودرجته فى الآخرة وبها يتجمل الانسان لأنها ترفع صاحبها إلى أعلى مراتب الكمال وصاحبها مستريح البال وممدوح فى كل مكان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (القناعة كنز لا يفنى) وقال (كن ورعا تكن أعبد الناس وكن قنعاً تكن أشكر الناس وأحب للناس ماتحب لنفسك تكن مؤمنا واحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما واقل الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب) وقال بشر الحافى . القناعة ملك لايسكن إلا فى قلب كل مؤمن ، وقيل القناعة من الرضا بمنزلة الورع من الزهد هذا أول الرضا وهذا أول الزهد وقيل فى معنى قوله تعالى (ليرزقنهم الله رزقا حسنا) يعنى القناعة وقيل العاقل من دبر أمر الدنيا بالقناعة والتسويف وأمر الآخرة بالحرص والتعجيل وامر الدين بالعلم والاجتهاد وقيل وضع الله تعالى خمسة اشيا فى خمسة مواضع . العز فى الطاعة والذل فى المعصية والهيبة فى قيام الليل والحكمة فى البطن الخالى والغنى فى القناعة . وقيل لامال عند من ترك القناعة ولاخير فى المرء إذا لم يكن قنعا وقال الامام على (من رضى بما قسم له استراح قلبه وبدنه)

وكان محمد بن واسع يبل الخبز بالماء ويأكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد ولله در القائل

كفى من العيش ماقد ستر من عوز   ففيه للحر قنيان وغنيان

وذو القناعة راض عن معيشته   وصاحب الحرص ان أثوى فغضبان

وقال ذو النون المصرى من قنع استراح من أهل زمانه واستطال على أقرانه وقيل لما نطق موسى السلام بذكر الطمع فقال لو شئت اتخذت عليه أجرا قال الخضر له هذا فراق بيني وبينك وقيل فى قوله تعالى فك رقبة أى فكها من ذل الطمع وقيل فى قوله تعالى « هب لى ملكا لاينبغى لأحد من بعدى » أى مقاما فى القناعة أنفرد به من أشكالى وأكون راضيا فيه بقضائك وقيل فى قوله تعالى « لأعذبنه عذابا شديداً » يعنى لأسلبنه القناعة ولأبتلينه بالطمع يعنى اسأل الله تعالى أن يفعل به ذلك والقناعة من أوثق أركان العبادة واقوى أصول الديانة المؤدية إلى السعادة وهى ذخيرة لاتبلى مدى الايام وكنز لايفنيه مر الدهور والأعوام بل هى جنة عالية قطوفها دانية ومن طلب العز طلبه بالطاعة ومن طلب الغنى طلبه بالقناعة قال عليه الصلاة والسلام « القناعة شرف المؤمن فى الدنيا ومنزلته فى الآخرة » وقال الشاعر :

أفادتنى القناعة كل عز   وهل عز أعز من القناعة

والطمع من أقبح الأخلاق واذم العلائق يدل على الأخلاق البهيمية والغرائز الرديئة الدنية لايزال صاحبه ابدا مذموما وبأقبح الصفات موسوما قال عليه الصلاة والسلام (خيار المؤمنين القانع وشرارهم الطامع) وقال :

طمع الفتى ذل وعزة نفسه   عز وكم شره يجر إلى شرك

وقيل الطمع يضيع كل شىء لان الطامع يود التهام كل شىء وقيل الطمع هو عدم الاعتماد على النفس وضعف فى الارادة .

حسبي بعلمي إن نفع ما الذل إلا فى الطمع
من راقب الله نزع عن سوء ما كان صنع
ما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع

وإذا لم تقنع برزقك ألزم الله قلبك أملا لا ينقطع ابدا وشغلا لا تتفرغ منه ابدا وقال تعالى (فمن لم يرض بقضائى ولم يصبر على بلائى ولم يشكر نعمائى ولم يقنع بعطائى فليطلب ربا سوائى) وكل يوم يأتيك رزقك وأنت لا تحمد الله فلا بالقليل تقنع ولا بالكثير تشبع وما من يوم إلا ويأتيك من عندى رزق وما من ليلة إلا ويأتينى من عندك ملك كريم بعمل قبيح تأكل رزقى وتعصينى . قال ابن عطاء الله ، ماسقطت أغصان إلا على بذر طمع ، وإذا أحببت شيئا كنت له عبدا والله يحب أن تكون له عبدا فأنت أعرضت عن مولاك (ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا) الآية وطمعت فى دنياك فالدنيا كامرأة عجوز ظاهرها مليح وباطنها قبيح فالغافلون ينظرون إلى ظاهرها والعارفون يعرفون حقيقتها والانسان مادام متحليا بالقناعة فاز فوزا عظيما وعاش عيشة هنيئة ولله در القائل .

يعز غنى النفس إن قل ماله ويغنى غنى المال وهو ذليل

الباب السادس — مذمة البخل والبخيل

اعلم وفقنى الله وإياك أن البخل داء لادواء له وقد قرن الله البخل بالكفر فى كتابه العزيز فقال تعالى ، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى ، وقال عليه الصلاة والسلام ، البخيل لايدخل الجنة ، وكانت العرب تتعاير بالبخل والجبن وقالت فى أمثالها البخل يهدم مبانى الشرف ويسوق النفس إلى التلف ومن ضيق ضيق عليه شحيح غنى أفقر من فقير سخى اتق الشح فانه أدنس شعار وأوحش دثار وقال الشاعر

انفق ولا تخش اقلالا فقد قسمت | على العباد من الرحمن أرزاق
لا ينفع البخل مع دنيا مولية | ولا يضر مع الاقبال انفاق

وكان بعض العلماء لا يقبل شهادة البخيل ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا معلقا بأستار الكعبة يقول يارب اغفرلى يارب اغفرلى وماأراك تفعل فقال ولم تراه لا يفعل ماشأنك قال إنى رجل صوام قوام كثير المال إلا أنى إذا نزل ضيف، أو أتانى سائل فكانما تشتعل فى قلبى شعلة نار فقال عليه الصلاة والسلام تنح عنى لا تحرقنى بنارك فو الذى أرسلنى بالهدى لو صمت ألف عام وصليت ألف عام بين الركن والمقام وجرت من دموعك الأنهار ثم مت وأنت لئيم أكبك الله فى النار واللؤم من الكفر والكفر فى النار والسخاء من الايمان والايمان فى الجنة وقيل النظر إلى البخيل يقسى القلب وقيل جود الرجل يحببه إلى أعدائه وبخله يبغضه إلى أوليائه وفى الخبر أن النبى عليه الصلاة والسلام قال للرجل الذى سأله عمن ترك دينارا قال ترك كية قال ترك دينارين قال كيتين وهذا من المال الذى ترك حقه الراتب فأما إذا أدى حق الله فليس ذلك بكى وسئل بعض العلماء لماذا أمر بكى ثلاثة مواضع فقال تعالى (يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) قال لأنهم لما قيل لهم لم بخلتم بالزكاة قالوا إنها وجهنا فنضن بها ليتبقى لنا ماء الوجه قال الله تعالى فتكوى بها جباههم كى تذهب بشاشتها وماؤها فى الوقت ثم قال وجنوبهم لقولهم حياة القلب من المال فمن لا مال له لا قلب له وظهورهم لقولهم المال للرجل ظهر فمن لا مال له لا ظهر له فيقال للبخيل هذا مالك الذى كنت تبخل به فيكون لك كيات وقال عليه الصلاة والسلام لما خلق الله تعالى الايمان قال الهى قونى فقواه بحسن الخلق ثم خلق الكفر قال الهى قونى فقواه بالبخل ثم خلق الجنة ثم قال ياملائكتى السخى قريب منى قريب من ملائكتى قريب من جنتى بعيد عن النار وأن بنى اسرائيل سألوا موسى عليه السلام فقالوا سل ربك متى يرضى عنا ومتى

يسخط علينا فأوحى الله تعالى إليه إنى إذا أنزلت الغيث فى زمانه وأمرت عليكم خياركم وجعلت مالكم عند سمحائكم فانى عنكم راض وإذا أنزلت الغيث فى غير أوانه وأمرت عليكم شراركم وجعلت أموالكم عند بخلائكم فأنا عليكم ساخط . فالبخيل حريص على الدنيا والدنيا كالحية لين لمسها قاتل سمها وهى كالنائحة كل يوم تنوح فى دار وهى كالمرأة الفاجرة تغمز الناس بعينها وترى أنها تقضى حوائجهم ثم تحملهم إلى بيتها فتهلكم . يحكى عن رجل بخيل أنه كان إذا وقع بيده درهم أو دينار نقره بيده ثم وضعه على كفه ويقول سبحان الله هذا أجل الأشياء إلى الله فيه شفاء ووفاء يانور عينى وثمرة فؤادى كم مدينة دخلتها وكم يد وقعت فيها فلم يعرفوا قدرك فداك أبى وأمى الآن استقرت بك الدار واطمأن بك المزار ونجوت من خطر الأسفار وأيدى التجار لك البشارة فى كيس ملمع وصندوق منقش وكان يقبله ويضعه فى الصندوق (حكاية) اجتمع ثلاثة من البخلاء فقالوا تعالوا ننظر أينا أبخل فقال أحدهم أنا أبخلكم لانى أبخل بمالى على الناس قال الآخر بل أنا ابخل لأنى ابخل بمال الناس على الناس وقال الثالث انا أبخل لأنى ابخل بمال الناس على نفسى فأجمعوا على أنه أبخل (حكاية) شيخ بخيل غلب عليه الدم فأراد أن يحتجم فضاق قلبه فى اعطاء دانق فكل يوم يأتى الحجام ويرى الناس يفتصدون ويتبسر فرأى يوما على ظهر رجل قارورتين فقال بكم تصنع هذه قال بدانق ونصف فأخرج يده وقال اضرب واحدا على هذا الحساب اما باسليقا وإما قيفالا ؟ لا أقل من واحد ولا أكثر فعلم أنه بخيل فقطع عرقه فانتفخ يده ومات فصار مثلا مامنع من الحجاب أعطى الطبيب (حكاية) مجوس بهراة كان شقيا فقال فى جميع عمرى لم آكل شاة فقام رجل مسلم ونقب سطحه وأخذ له أربعة آلاف دينار ونوى فى نفسه إن لم يفضحنى الله فى هذا الأمر أتوب وأرجع فلم يصل اليه مكروه فتاب وأنفق ماله فى سبيل الله تعالى

فقيل إنك لاتؤجر عليه فقال عون الاسلام أحب إلى من عون الكفر وسبب توبة حبيب العجمى انه كان بخيلا فطبخ قدرا لجاء سائل فنهره فصار القدر كله دماعبيطا فتاب ولم يرد سائلا (حكاية) كان رجل بخيل فغرق فى الماء فأدركه الملاح فقال كم تعطينى حتى أنجيك قال قيراطا وسدس حبة فقال بل درهما قال لاأعطيك إلا قيراطا وحبة دعنى أغرق فقال الملاح يابغيض الله هذا وقت المصارفة فأرسله فغرق (حكاية) أضاف رجل رجلا بخيلا فأكل أكلا لما فأصابه إمساك شديد فقال الطبيب لابد من القيء قال دعنى أموت ولا أتقايا الأكل الشهى فلم يتقيأ حتى مات وقال الامام على كرم الله وجهه البخيل يسخو بعرضه بمقدار ما يبخل به من ماله أبخل الناس بماله اجودهم بعرضه الشح اضر على الانسان من الفقر لأن الفقير إذا وجد اتسع والشحيح لايتسع وإن وجد وقال مصلح الدين سعدى : لو ملك البخيل نصف الدنيا لم يذكره واحد بخير . مهما كثرت أموال البخيل لايزال عرضة للضيق كالوكان فقيرا . الكريم يتمتع بلذة ماله والبخيل يتألم لما عنده من المال (والله اعلم)

الباب السابع — تنبيه الغافلين

أخى المؤمن اعلم وفقنى الله وإياك ان الانسان لفى غفلة عما خلق له لقد خلق ليوم عظيم تشيب الولدان فيه وياليت الانسان لم يخلق وياليته خلق وعمل بما علم وقال عليه الصلاة والسلام . الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ، صدق رسول الله تلعب وتلهو وتلغو وتضحك وتنسى ذكر هازم اللذات فلو تعلم شدة الموت وسكراته ماأكلت ولاشربت ولا يهنأ لك عيش بل كنت تبكى على نفسك ليلا ونهارا لقول الرسول عليه الصلاة والسلام لوتعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وفى الخبر ان المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا واقبال على الآخرة نزلت عليه ملائكة

من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس ومعهم كفن من كفن الجنة وحنوط من حنوط الجنة فيجلسون عنده مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس المطمئنة اخرجي إلى مغفرة الله ورضوانه قال عليه الصلاة والسلام فتخرج وتسيل كما تسيل القطرة من السقاء فلا يدعونها فى كفه طرفة عين حتى يأخذوها فى ذلك الكفن والحنوط فيخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ماهذه الروح الطيبة فيقولون روح فلان بن فلان بأحسن أسمائه ثم ينتهون بها إلى سماء الدنيا فيستفتحون لها فيفتح لهم فيستقبلها ويشيعها من كل اسماء مقربوها إلى السماء التى تليها حتى ينتهوا بها إلى السماء السابعة فيقول الله تعالى اكتبوا كتابه فى عليين وأعيدوه إلى الأرض منها خلقتهم وفيها اعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى فتعاد الروح فى جسده ويأتيه ملكان فيقولان له من ربك ومن نبيك وما دينك وما إمامك وما إخوانك وما قبلتك فيقول المؤمن ربى الله ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم ودينى الأسلام وإمامى القرآن وإخوانى المسلمون وقبلتى الكعبة فيقولان له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً فى الجنة وينادى مناد صدق عبدى فافرشوا له فراشا من الجنة وألبسوه لباساً من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة يأتيه من ريحها وطيبها ويفسح له فى قبره مد بصره ويأتيه رجل حسن الوجه طيب الريح فيقول أبشر بالذى يسرك هذا يومك الذى كنت توعد به فيقول له من أنت فيقول أنا عملك الصالح فيقول يارب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى وخدمي قال النبي عليه الصلاة والسلام وإن كان من أهل الشقاوة فاذا حضره الموت نزل عليه ملائكة من السماء سود الوجوه ومعهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط الله وغضبه فتفرق

فى أعضائه كلها فينزعها كما ينزع السفود من الصوف المبلول فيقطع منها العروق والعصب فيأخذها وإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى تلك المسوح ويخرج منها ريح كأنتن جيفة فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ماهذه الروح الخبيثة فيقولون روح فلان بن فلان بأقبح أسمائه حتى ينتهوا بها إلى سماء الدنيا فيستفتحون ليلا يفتح لهـــا ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط) الآية ثم يقول الله تعالى اكتبوا كتابه فى سجين ثم تطرح روحه طرحا ثم قرأ « ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق » يعنى ترد فتعاد الروح فى جسده فيأتيه منكر ونكير بأهول ما يكون من الأهوال وأصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف وهما أسودان أزرقا العينين يخرقان الأرض بأنيابهما فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول لا أدرى فينادى مناد من جانب القبر اضرباه فيضربانه بمقمع من حديد لو اجتمع الخلائق كلهم يلووه لا يقدرون ويشتعل فى قبره نار فيضمه حتى تختلف أضلاعه ثم يأتيه رجل قبيح الوجه منتن الريح فيقول جزاك الله شراً فوالله ما علمت بل كنت بطيئاً عن الطاعات وسريعاً فى معصية الله فيقول من أنت ما رأيت فى الدنيا أسوأ منك فيقول أنا عملك الخبيث ثم يفتح له باب إلى النار فينظر إلى مقعده فى النار فلا يزال كذلك حتى تقوم الساعة وينبغى أن تعرف ملكا تسمى رومان وهو ملك يأتى الميت عند انصراف الناس من الدفن ويقول له اكتب ما كنت تعمل فى دار الدنيا فيقول العبد ليس معى دواة ولا قرطاس ولا قلم فيقول هيهات هيهات قلمك إصبعك ومدادك ريقك والقرطاس من كفنك فيقطع له من كفنه قطعة فيكتب فيها جميع ما صدر منه فى دار الدنيا سواء كان كاتبا أم لا ثم يطويها الملك ويعلقها له فى عنقه الى يوم القيامة

لقوله تعـالى (وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه) الآية واعلم بأن إسرافيل عليه السلام موكل بالنفخ فى الصور والصور قرن من نور فيه ثقوب على عدد أرواح من يموت فينفخ فيه نفختين النفخة الأولى تفنى فيها جميع الخلائق إلا المستثنيات السبع . وهى العرش والكرسى واللوح والقلم والجنة والنار والأرواح . والنفخة الثانية تبعث فيها جميع الخلائق ومابين النفختين أربعين عاما . واعلم بأن الخلائق إذا نشروا من القبوركأنهم جرادمنتشر يبعثون من قبورهم إلى ارض المحشر بالشام يوم الجمعة ويخرجون منها سراعا إلى ربهم ينسلون يعنى يخرجون من قبورهم حفاة عراة ثم يقفون موقفاً واحداً مقدار سبعين عاما لا ينظر الله إليهم ولا يقضى بينهم فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون دما ويعرقون حتى يبلغ ذلك منهم بأن يلجمهم ويبلغ الأذقان ثم يدعون إلى المحشر وذلك قوله عز وجل مهطعين إلى الداع أى ناظرين قاصدين مسرعين فاذا اجتمع الخلائق كلهم الجن والانس وغيرهم فبينما هم وقوف إذ سمعوا حساً من السماء شديداً فهالهم ذلك فتنشق السماء وتنزل ملائكة سماء الدنيا كمثلى من فى الأرض فيأخذوا مصافهم فيقول لهم الناس أفيكم ربنا يعنى أفيكم أمر ربنا بالحساب قالوا لا ثم ينزل أهل السماء الثانية فيقومون صفاً خلفهم إلى غير ذلك حتى تنزل ملائكة السموات السبع على قدر التضعيف ويقومون حول أهل الدنيا لقوله تعالى (وجاء ربك والملك صفاً صفا) فالواجب عليك أن تعتقد أن البعث حق والنشر حق والحشر حق والحساب حق والوقوف حق والوزن حق وإعطاء الكتاب حق والحوض حق والصراط حق ينصب على متن جهنم وهو أحد من السيف وأرق من الشعر وأظلم من الليل ودخول أهل الجنة فى الجنة حق ودخول أهل النار فى النار حق ورؤية المؤمنين لربهم حق وحجب الكفار عن ربهم حق وجميع أحوال الآخرة حق وسيبلغ العرق فى هذا اليوم المشئوم فى الأرض سبعين ذراعا كما جاء

فى الخبر عن سيد البشر ولله در القائل :

ونؤمن أن الموت حق وأننا ... سنبعث حقاً بعد موتنا غدا

وأن عذاب القبر حق وأنه ... على الجسم والروح الذى فيه ألحدا

ومنكره ثم النكير بصحبة ... هما يسألان العبد فى القبر مقعدا

وميزان ربى والصراط حقيقة ... وجنته والنار لم يخلقا سدى

وأن حساب الخلق حق وأنه ... كما أخبر القرآن عنه وشددا

وحوض رسول الله حق أعده ... له الله دون الرسل ماء مبردا

ويشرب منه المؤمنون وكل من ... سقى منه كأساً لم يجد بعده صدى

وفى الختام أرجو من الله أن يلطف بجميع المسلمين فى هذا اليوم (آمين)

الباب الثامن — الشكر

أخى المؤمن اعلم وفقنى الله واياك أن الشكر هو تقييد النفس بالأوامر والنواهى وصرف النعم فيما يرضى الله سبحانه وتعالى وبيع النفس الحق سبحانه وتعالى لأنه يقول فى كتابه الكريم إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم فنعم البيع وأن يراك الله فى طاعته ولا يراك فى معصيته قال تعالى « لئن شكرتم لأزيدنكم » ومن أعجب ما يروى عن عائشة رضى الله عنها أن أحد الصحابة سألها وقال لها أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت وأى شأنه لم يكن عجباً أنه أتانى فى ليلة فدخل معى فى فراشى أو قالت فى لحافى حتى مس جلده ثم قال يابنت أبى بكر ذرينى أتعبد لربى قالت قلت إنى أحب قربك فأذنت له فقام إلى قربة من ماء فتوضأ وأكثر صب الماء ثم قام يصلى فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فأذنه بالصلاة

فقلت يارسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبداً شكورا ولم لاأفعل وقد أنزل على إن فى خلق السموات والأرض الآية وحقيقة الشكر عند أهل التحقيق الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع وعلى هذا القول يوصف الحق سبحانه وتعالى بأنه شكور توسعاً ومعناه أنه يجازى العباد على الشكر فسمى جزاء الشكر شكرا كما قال « وجزاء سيئة سيئة مثلها » وقيل شكره اعطاؤه الكثير من الثواب على العمل اليسير والشكر ينقسم إلى شكر باللسان وهو اعتراف بالنعمة بنعت الاستكانة وشكر بالبدن والجوارح وهو اتصاف بالوفاق والخدمة وشكر بالقلب وهو اعتكاف على بساط الشهود بأدامة حفظ الحرمة وقال أبو بكر الوراق « شكر النعمة مشاهدة المنة وحفظ الحرمة» وقال الجنيد « الشكر أن لاترى نفسك أهلا للنعمة » وقيل شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخواص على ما يرد على قلوبهم من المعانى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال عجبت لأمرالمؤمن أمره كله خير له إن أصابه خير فشكركان خيرا له وإن أصابه شر فصبر فكان خيراً له وعن مكحول رحمه الله تعالى أن سئل عن قوله تعالى « ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم » قال بارد الشراب وظل المساكن وشبع البطون واعتدال الخلق ولذة النوم وقال النبى صلى الله عليه وسلم « أربع من أعطيهن فقد أعطى خيرى الدنيا والآخرة لسان ذاكر وقلب شاكر وبدن صابر وزوجة مؤمنة صالحة » وقال موسى عليه السلام لربه (يارب كيف استطاع آدم ان يؤدى شكر ما صنعت إليه خلقته بيدك ونفخت فيه من روحك وأسكنته جنتك وأمرت الملائكة فسجدوا له قال يا موسى علم آدم أن ذلك منى فحمدنى عليه فكان ذلك شكراً لما صنعت إليه) وعن محمد بن كعب أنه قال (الشكر العمل) لقوله تعالى (اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور) يعنى إعملو عملا تؤدون به شكرا وقيل تمام الشكر فى ثلاثه اشياء

أولها إذا أعطاك الله شيئاً فتنظر من الذى أعطاك فتحمده عليه والثانى أن ترضى بما أعطاك والثالث ما دام منفعة ذلك الشىء معك وقوته فى جسدك لا تعصه ولقمان اختص بالحكمة من الله لشكره إياه قال تبارك وتعالى (ولقد أتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله) الآية وقال ابن عطاء الله : من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها . وعلى ذلك يكون الشكر بالبدن والأعضاء السبعة وكل نعمة ساقها الله لك فينبغى لك أن تشكر الحق على نعمه فنبدأ بعون الله على العضو الأول من الأعضاء السبعة (وهو العين) أخى المؤمن ينبغى لك أن تحفظ جميع بدنك من المعاصى وخصوصاً الأعضاء السبعة فان جهنم لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم وهى العين والأذن واللسان والبطن واليد والفرج والرجل لأنك إذا بعثت من القبر ووقفت للحساب أمام الحق وعلى مشهد الخلائق وكذبت عن أفعالك القبيحة تشهد عليك أعضاؤك قال تعالى (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ۞ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) وقال تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ۞ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى انطق كل شىء) فينبغى لك أن تصونها عن المحرمات فاحفظها عن ثلاث الأولى غض البصر عن النساء الأجانب غير المحارم بغير شهوة وإلا يحرم عليك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ملأ عينه من الحرام ملأ الله عينه من جمر جهنم ، ولله در القائل :

كل الحوادث مبدأها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

وقال عليه الصلاة والسلام النظرة سهم من سهوم إبليس والنظر زنى كما جاء فى الخبر عن سيد البشر . الثانية لا تنظر بها إلى مسلم بعين الاحتقار عسى ان يكون خيراً منك الثالثة لا تطلع بها على عيب مسلم ولا تنظر بها إلى فرجك لأن النظر يورث الطمس

كما جاء فى الحديث الشريف واعلم أن العين خلقت لك لكى تجعلها فيما يرضى الله كقراءة القرآن وتفسيره وأحاديث الرسول والفقه والنظر بها إلى عجائب ملكوت السموات والأرض وتعتبر بما فيها من الآيات . أباح لك أن تنظر إلى المكونات قال تعالى (قل انظروا ماذا فى السموات) فتح لك باب الأفهام ولم يقل انظروا السموات لئلا يدلك على وجود الأجرام وتفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة من غير تفكر وتهتدى بها فى الظلمات وتستعين بها فى الحاجات وتبكى بها من خشية الله فاذا فعلت ذلك فقد شكرت الله فى نعمته وندع هذا بعون الله إلى العضو الثانى (وهو الأذن) أخى المؤمن ينبغى لك أن تعرف أن الأذن نعمة من الله عليك (وما بكم من نعمة فمن الله * وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها إن الانسان لظلوم كفور) فيجب عليك أن تشكر الله فى هذه النعمة فشكرها من وجهين الأول أن تصونها عن المحرمات كسماع الغيبة لأن السامع شريك القائل كما جاء فى الخبر عن سيد البشر وقد قيل :

وسمعك صن عن سماع القبيح	كصون اللسان عن النطق به
فانك عند سماع القبيح	شريك لقائله فانتبه

وسماع المزامير لأن من سمع مزامير الدنيا لم يسمع مزامير الآخرة كما قدمت لك فى باب آداب الطالب والمريد وسماع البدعة أو الفحش أو الخوض فى الباطل . الوجه الثانى أن تجعلها فيما يرضى الله كسماع القرآن وسماع العلم وأحاديث الرسول وكلام الأولياء وتتوصل باستفادة العلم بها إلى الملك المقيم والنعيم الدائم فاذا اتبعت هذا فقد أديت شكر الله فى هذه النعمة وندع هذا بعون الله إلى العضو الثالث وهو أشد من الجميع (وهو اللسان) أخى المؤمن احذر لسانك فانه أسد إذا أطلقته هلكك وأكلك فينبغى لك أن تشكر الله فى هذه النعمة فشكرها على نوعين النوع الأول أن تصونها عن المحرمات كالغيبة لأن الغيبة أشد من ثلاثين زنية وأشد من شرب الخمر

ومن الزنى كما جاء فى الحديث الشريف وكنى المغتاب أن الله وصفه فى كتابه الكريم بآكل الميتة قال تعالى (ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه) الآية ومن ترك الغيبة ظهرت محبته وتوفرت حسناته الغيبة لها لذة فى الدنيا وعلى صاحبها حسرة فى الآخرة وهى ذكر أخاك بمايكره سواء كان فى ماله وثوبه أوفى كل مايتعلق به والغيبة منتشرة بين الناس كانتشار الشرايين فى الجسم وبعضهم يستند إلى حديث لاغيبة فى فاسق غلطوا من وجهين الأول لم يتحقق عصيانه والثانى تزكية النفس على غيره والله يقول (ولا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) ولو دخل نور الايمان فى قلبه لنطق لسانه بذكر الله وغرق فى بحر المحبة واستوحش من الخلق وأنس بربه ولم يذكر أحداً بسوء لأن الله قادر على أن يتوب عليه ويبدلك مكانه ومعنى الحديث (لاغيبة جائزة فى فاسق) والنميمة وهى نقل كلام الناس بعضهم على بعض على وجه الافساد بينهم ولا يدخل الجنة نمام . والكذب قال تعالى (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) الآية وقال فنجعل لعنة الله على الكاذبين وخلف الوعد قال عليه الصلاة والسلام . ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان وتزكية النفس . قال تعالى فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى والمراء والجدال ومناقشة الناس فى الكلام فذلك فيه إيذاء للمخاطب وتجهيل له وطعن فيه وفيه ثناء على النفس وتزكية لها بمزيد الفطنة والعلم قال عليه الصلاة والسلام . من ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتاً فى أعلا الجنة والدعاء على الخلق إذا ظلمك أحد فوض أمرك إلى الله وأدع له بأن يتوب الله عليه وسامحه والمزاح والسخرية والاستهزاء بالناس وقذف المحصنات الغافلات النوع الثانى أن تجعل لسانك فيما يرضى الله كقراءة القرآن فان لك بكل حرف حسنة والحسنة بعشر ومذاكرة العلم وأحاديث الرسول وليكن

لسانك رطباً بذكر الله وقال عليه الصلاة والسلام « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً و يصمت وقال « من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه » وقال « أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون » وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يضع الحجر فى فيه ليمنعه ذلك من الكلام لغير ضرورة ويقول هذا الذى اوردنى الموارد كلها فاذا استقمت على هذه الشروط فقد أديت شكر الله فى هذه النعمة وندع هذا بعون الله إلى العضو الرابع « وهو البطن » أخى المؤمن ينبغى لك أن تعرف أن البطن نعمة كبرى من الله عليك فلولاها ما عشت فيجب عليك أن تشكر مولاك على هذه النعمة فشكرها على قسمين القسم الأول أن تصونها عن أكل المحرمات والمتشابهات وأكل اموال اليتامى قال تعالى « إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل شىء نبت من حرام فالنار أولى به ومن لم يبال من أين يأكل لم يبال الله من أى باب يدخله النار ومن أكل الحلال صفا دينه ومن أكل الحرام خسر دينه ونقص يقينه ويخاف عليه من سوء الخاتمة ومن شرب الخمر يجلد ثمانين جلدة وهى رأس الكبائر وكل مسكر خمر وكل خمر حرام وما أسكر كثيره فقليله حرام فالويل للذى يشرب الخمر فاحذرها واجتنبها يحكى أن رجلا من الصالحين خرج ذات يوم فقابلته امرأة سوء وقالت أريد منك حاجة فلما دخل منزلها أغلقت الأبواب وقالت له اقتل هذا الغلام أو ازنى بى أو اشرب هذا الخمر فعزم على شرب الخمر لأنها أخف من الاول والثانى فى اعتقاده فشربها فسكر ففعل الثلاثة ومن شرب الحشيش لايحد بل يحرم عليه . ومن شرب الدخان فهو من المبذرين « إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين » الآية فالدخان يسود القلب وينشأ عنه امراض خطيرة وستسأل عن الصغيرة والكبيرة أمام جبار السموات والأرض (ولا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه

أجراً عظيما) (ولايظلم ربك أحدا) (لاظلم اليوم إن الله سريع الحساب) (وما ربك بظلام للعبيد) (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) القسم الثانى أن تأكل من الحلال ويكون الأكل لله واللبس لله والنوم لله وكل شيء تفعله لله ومعنى ذلك أنه فى أثناء الأكل أو اللبس يكون متذكراً التقوى به على العبادة وطلب الحلال فريضة على كل مسلم ومسلمة قال تعالى (فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون) إياك أن تقول الله يرزقنى من غير سعى فالله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء ولكن قال فى كتابه الكريم (فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) والدين حث على العمل فقال تعالى (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) وأريد منك إذا أتاك طعام من حلال فكل منه إن وافقك وإلا دعه من غير أن تذمه فاذا تمسكت بهذه الشروط فقد شكرت الله فى هذه النعمة وندع هذا بعون الله إلى العضو الخامس (وهو الفرج)

أخى المؤمن اعلم أن الفرج سم قاتل أهلك الأولين والآخرين وأنت علمت قصة هابيل وقابيل وقد تقدمت وقد قتل أخاه بسبب شهوة الفرج . والحروب والفتن والفساد وسفك الدماء بسبب شهوة الفرج فاحذر منه واشكر ربك على هذه النعمة التى أنعمها عليك فشكرها على نوعين النوع الأول أن تصونها عن المحرمات كالزنى واللواط والعادة السرية الحديثة وهى حرقة الشبان قال تعالى « ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا » وحب لأخيك كما تحب لنفسك واكره له ما تكره لنفسك ولايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن وهو من أكبر الكبائر ألم تسمع كلام الفراعنة الذين كانوا يعبدون الأصنام والعجول المقدسة فكانوا يقولون إذا دخلت بيت غيرك فاحذر من توجه ذهنك إلى حذر نسائه فكم هلك أناس من جراء ذلك

واعلم بأن بيت الزانى مآلة للخراب لأنه مخالف للنواميس الطبيعية والزانى يرجم إذا كان محصنا وإذا كان غير محصن يجلد مائة جلدة ويغرب سنة عن وطنه إلى مسافة القصر وقال عليه الصلاة والسلام « الزنا يورث الفقر » أما اللواط فعقوبته شديدة اقرأ قصة قوم لوط وما جرى لهم من الله بسبب أفعالهم القبيحة أما العادة السرية فهى أشنع من الجميع تفتك بصحة الانسان وتفسد الأخلاق وتجلب للانسان أمراضاً كثيرة خطيرة وفيها غضب الرب اقرأ وابحث عن كتاب ألف حديثا أضرار العادة السرية وعلاجها النوع الثانى أن تجعلها فيما يرضى الله قال تعالى « قد أفلح المؤمنون إلى أن قال والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون » ويحسن بك أن تقصد النكاح اقتداء بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال الزواج من سنتى وقال من تزوج فقد كمل نصف دينه فليتق الله فى النصف الآخر وتكون نيتك وقت الجماع نية حسنة تريد بهذا الجماع أن تلد امرأتك ولداً صالحاً يعبد الله ويسبحه بكرة وأصيلا ولا تكثر من ذلك فان فيه ضرر عظيم وأكثر من العبادة فهى الزاد ليوم القيامة فاذا فعلت ذلك فقد أديت شكر الله فى هذه النعمة وندع هذا بعون الله إلى العضو السادس (وهو اليد) أخى المؤمن ينبغى لك أن تعرف يدك بأنها نعمة من الله عليك فاشكره على هذه النعمة وشكرها من وجهين الأول احفظها عن كل ما حرم الله كقتل الناس قال تعالى « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم » الآية ولا تؤذى إنساناً بيدك كسرقة وضرب وإحراق وغير ذلك من الأفعال القبيحة قال تعالى « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله إن الله عزيز حكيم » ولا تخن بها أمانة او وديعة الوجه الثانى ان تجعلها فيما يرضى الله كبذل الاموال للفقراء والمساكين والأيتام والأرامل وصنع آلة تنفع المجتمع الانسانى فاذا فعلت

ذلك فقد نلت ثوابا عظيما وقد أديت شكر الله على هذه النعمة وندع هذا بعون الله إلى العضو السابع (وهو الرجل) أخى المؤمن ينبغى لك أن تشكر الحق على هذه النعمة العظيمة التى لولاها لم تعمر الأرض فشكرها على نوعين النوع الأول احفظها عن المحرمات كزيارة الأغنياء والسلاطين افتخارا قال تعالى (ومن أجل غنيا لأجل غناه فقد ذهب ثلثا دينه) والسعى بها إلى دور الملاهى والخمور وإلى الزانيات وإلى النساء وإلى إحراق البيوت وقطع النباتات وإلى غير ذلك من المحرمات النوع الثانى أن تجعلها فيما يرضى الله كحج بيت الله الحرام وزيارة الرسول والسعى بها على المعاش وبناء المساجد والمشى بها إلى بيوت الله فلك بكل خطوة تخطوها ثواب عظيم

مالذة العيش إلا صحبة الفقرا ... هم السلاطين والسادات والأمرا

والفقير هو المتجرد عن العلائق المعرض عن العوائق لم يبق له قبلة ولا مقصد إلا الله تعالى وقد أعرض عن كل شىء سواه وتحقق بحقيقة لا اله إلا الله محمد رسول الله فاذا تمسكت بهذه الشروط فقد فزت برضوان الله وقد أديت شكر الله على هذه النعمة قد انتهى الكلام على الشكر وعلى الأعضاء السبعة والعلاج فنبدأ بعون الله بالملك وهو القلب ونتكلم عليه وقد تقدم الكلام على الرعية وفى الختام أرجو من الله أن يجعل جميع المسلمين من الشاكرين آمين .

الباب التاسع ــ مرض القلب وعلاجه

أخى المؤمن اعلم وفقنى الله وإياك أن القلب هو رأس الدولة وهو الراعى وكل راع مسئول عن رعيته وهو الساقى لجميع البدن وهو الانسان وعليه التكليف فاذا صلح صلح جميع البدن وإذا فسد فسد جميع البدن وصلاح القلب فى خمسة أشياء قراءة القرآن بالتدبر وخلو البطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين

وأكل الحلال وهو رأسها وقد قيل الطعام بذر الأفعال إن دخل حلالا خرج حلالا وإن دخل حراما خرج حراما وإن دخل شبهة خرج شبهة وقال الترمذى «حياة القلوب الإيمان وموتها الكفر وصحتها الطاعة ومرضها الإصرار على المعصية ويقظتها الذكر ونومها الغفلة» وفى الخبر لا تكثروا الكلام فتقسوا قلوبكم واعلم بأن من مرض قلبه منع أن يلبس لباس التقوى فلو صح قلبك من مرض الهوى والشهوة فزت بلذات التقوى فمن لم يجد حلاوة الطاعة دل على مرض قلبه من الشهوة وقد سمى الله تعالى الشهوة مرضا بقوله تعالى (فيطمع الذى فى قلبه مرض) ولك فى علاجه خمسة أحوال

دواء قلبك خمس عند قسوته ... فدم عليها تفز بالخير والظفر
خلاء بطن وقرآن تدبره ... كذا تضرع باك ساعة السحر
كذا قيامك جنح الليل أوسطه ... وأن تجالس أهل الخير والخبر

ينبغى لك أن تصوم كثيراً أو تصوم الاثنين والخميس من كل أسبوع رياضة لنفسك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الشيطان يجرى فى ابن آدم مجرى الدم فضيقوا عليه بالصوم) ولأن نفسك لما خلقها الله سبحانه وتعالى ودعاها وقال لها من أنا فلم تجب وقالت له من أنا وفى المرة الثانية قالت من أنا وفى المرة الثالثة قذفها الله فى بحر الجوع فخرجت ذليلة فقال لها من أنا فقالت أنت الله . والمريد إذا لم يصل النهار بالصوم والليل بالقيام لم يصل إلى مراده وقال داود الطائى صم الدنيا وافطر عند الموت وقال الجنيد ما أخذنا العلم من قيل وقال بل أخذناه بالجوع والمجاهدات وأفضل العبادات الصوم لأنه سر بينك وبين الحق قال الله تعالى الصوم لى وأنا أجزى به . والصائم يتفجر من لسانه ينابيع الحكم وينبغى لك أن تقرأ كلام الله بالتأنى والطمأنينة والترتيل وتدبر معانيه قال تبارك وتعالى (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) اقرأ الآية واعمل بما فيها كانت عائشة رضى الله عنها تقول

كنا إذا سمعنا آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمل بما فيها أولا ونحفظه ثانياً . وتجلس أمامه خاشعاً متواضعاً قال تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) فلو تدكرت القرآن وما فيه من وعيد لبكيت كثيراً ورب تال للقرآن والقرآن يلعنه وينبغي لك أيضاً أن تبكي على الذنوب وتقول (يا حسرتي على مافرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين) وتقول (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وقت السحر لأن وقت السحر أوان الصفاء والتجلي قبل إذا بقي ثلث الليل الأخير قال الله سبحانه وتعالى من يدعوني فأستجيب له من يستغفرني فأغفر له وكل عين دمعت في سبيل الله أو ذرفت من خشية الله فتكون آمنة يوم الفزع الأكبر وفي ظل عرش الرحمن أما ماعدا ذلك فكل العيون باكية والبكاء يغسل القلب غسلا من الأخباث وينبغي لك أن تصلي بالليل والناس نيام وقيام الليل من السنن المؤكدة فمن داوم عليه فاز برضوان الله . والليل يقظة المريدين وسراج العارفين وهلاك الغافلين . وصل ركعتين في الليل حتى يكتبك الله مع الفائزين وقيل أن الشتاء ربيع الأولياء يومه قصير فيصومونه وليله طويل فيتعبدون فيه قال تبارك وتعالى « وعباد الرحمن إلى أن قال والذين يبيتون لربهم سجداً وقياما » وقال تبارك وتعالى « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون » وقال « الذين يذكرون الله قياما وقعودا » الآية فقيام الليل جنة من جنات الفردوس وفيه كان الاسراء والمعراج فاذا دمت على قيام الليل صلح قلبك وينبغي لك أن تجالس الصالحين وتصحب لك خليلا صالحاً يذكرك بأحوال الآخرة فقد قال صلى الله عليه وسلم « يحشر المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » فاذا علمت أيها الأخ الشفيق فلا تخالل إلا من ينهضك حاله ويدلك على الله مقاله وذلك هو الفقير المتجرد

عن السوى المقبل على المولى فليست اللذة إلا مخالته ولا السعادة إلا خدمته ومصاحبته ويجب عليك أن تجالس الصالحين عسى الله أن يحشرك معهم وتصاحبهم وتتأدب معهم فى مجالستهم واستغنم وقت صحبة الفقراء واحضر دائما معهم بقلبك وجسمك فان من جالس جانس فان جلست مع المحزون حزنت وإن جلست مع المسرور سررت وإن جلست مع الغافلين سرت اليك الغفلة وان جلست مع الذاكرين انتبهت من غفلتك وسرت اليك اليقظة فانهم القوم لا يشقى جليسهم فكيف يشقى خادمهم ومحبهم وأنيسهم والطبع يسرق من الطبع :

واحذر مخالطة السفيه فانه   يعدى كما يعدى الصحيح الأجرب

وقال تعالى (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) وقال (ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى وكان الشيطان للانسان خذولا) وقال عليه الصلاة والسلام (مثل الجليس الصالح والجليس السوء كصاحب المسك وكير الحداد فصاحب المسك اما أن تشترى منه أوتشم منه رائحة طيبة وكير الحداد اما أن يحرقك أوتشم منه رائحة خبيثة وأرجو منك أن تحب المرء لا تحبه الا لله فاذا فعلت ذلك صلح قلبك ومن دواء القلب أيضاً الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه قال لأصحابه لكل شىء طهارة أما طهارة قلوبكم فهى الصلاة على ومن صلى عليه مرة صلى الله عليه عشراً ومن صلى عليه عشراً صلى الله عليه مائة ومن صلى عليه مائة صلى الله عليه ألفاً ومن صلى عليه ألفاً حرم الله جسده على النار وقال البخيل اذا ذكرت عنده فلم يصل على وكفاه فخراً بأن الله سبحانه وتعالى يصلى عليه قال تبارك وتعالى (إن الله وملائكته يصلون على النبى ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) فالصلاة من الله رحمته والصلاة من الملائكة استغفار والصلاة من الآدميين دعاء

فاذا دمت على صلاة الرسول فتح الله عليك كل صعب وتشفع لك الرسول يوم الفزع الأكبر وتشرب من حوضه الشريف وأرجو من الله أن يطهر قلوب المسلمين من النفاق وعملهم من الرياء آمين .

الباب العاشر — الحكايات والحكم والأمثال

أخي المؤمن اعلم وفقني الله وإياك أنه ينبغي لك أن تقف على سير الصالحين وتمثل بأفعالهم وأقوالهم لتفوز فوزاً عظيما :

تشبهوا إن لم تكونوا مثلهم　　　إن التشبه بالرجال فلاح

يحكى أن عبد الله بن المبارك رحمه الله خرج حاجاً الى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام فبينما هو فى الطريق اذ وجد سواد انسان فتميز ذاك فاذا هي عجوز عليها درع من صدف وخمار من صوف فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقالت (سلام قولا من رب رحيم) قال لها يرحمك الله ما تصنعين فى هذا المكان قالت (من يضلل الله فلا هادى له) قال أين تريدين قالت (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى) قال أنت منذكم فى هذا الموضوع قالت (ثلاث ليال سويا) قال ما أرى معك طعاماً تأكلين قالت (هو يطعمنى ويسقين) قال فبأى شىء تتوضئين قالت (فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً) قال ان معى طعاماً فهل لك فى الأكل قالت (ثم أتموا الصيام الى الليل) قال ليس هذا شهر رمضان قالت (ومن تطوع خيراً فان الله شاكر عليم) قال قد أبيح لنا الافطار فى السفر قالت (وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون) قال لم لا تكلمينى مثل ما أكلمك قالت (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) قال فمن أى الناس أنت قالت (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا)

قال قد أخطأت فاجعليني فى حل قالت (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم) قال هل لك أن أحملك على ناقتى هذه فتدركى القافلة قالت (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) فأناخ ناقته وقال لها اركبى قالت ، قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ، فلما أرادت الركوب نفرت الناقة ومزقت ثيابها قالت ، وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ، قال اصبرى حتى أعقلها قالت ، ففهمناها سليمان ، فعقل الناقة وقال لها اركبى قالت ، سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون ، فأخذ بزمام الناقة وجعل يسعى ويصيح قالت ، واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ، فجعل يمشى رويداً رويدا ويترنم بالشعر قالت ، فاقرأوا ماتيسر من القرآن ، قال لقد أوتيت خيراً قالت ، ومايذكر إلا أولوا الألباب ، فلما مشى بها قليلا سألها ألك زوج قالت (ياأيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤكم) ولما أدرك القافلة سألها من لك فيها قالت ، المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، فعلم أن لها أولاداً قال لها ماشأنهم فى الحج قالت (وعلامات وبالنجم هم يهتدون) فعلم أنهم أدلاء الركب وقصد بها القباب والعمارات فسألها من لك فيها قالت (واتخذ الله ابراهيم خليلا وكلم الله موسى تكليما . يايحيى خذ الكتاب بقوة) فنادى على ابراهيم وموسى ويحيى فحضروا فقالت (فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه) فمضى أحدهم واشترى طعاما وقدموه بين يدى فقالت (كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية) قال الآن طعامكم على حرام حتى تخبرونى بأمرها فقالوا هذه أمنا لها أربعين سنة لم تتكلم إلا بالقرآن مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن فقال (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) ويحكى أن رجلا قابل امرأة جميلة ومتزينة بأحسن زى فقال لها (وزيناها للناظرين) قالت (وحفظناها من كل شيطان رجيم) قال (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) قالت (لن تنالوا

البر حتى تنفقوا مما تحبون) قال وإن لم يجدوا ما ينفقون قالت (أولئك عنها مبعدون) قال جاء تك مصيبة قالت (وللذكر مثل حظ الأنثيين) ويحكى أن رجلا تزوج بجاريتين فوجدهما فى أحسن الصفات الفاضلة ولم يستطع أن يميز إحداهما عن الأخرى فى الكماليات فعمد إلى اختبارهما فى الفصاحة وأجلسهما بمعزل عنه وقال لتأت كل واحدة منكما إلى بمناسبة فأسرعت إليه إحداهما وقالت (والسابقون السابقون أولئك المقربون) وثبتت الثانية فى مكانها وقالت (وللآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى) فقرت عيناه بهما وأحسن إليهما بحسن المعاشرة ويحكى أن امرأة تخاصمت مع زوجها فى ولدهما فقالت المرأة للقاضى هذا ولدى كان بطنى له وعاء وحجرى له فناء وثدى له سقاء ألاحظه إذا قام وأحفظه إذا نام فلم أزل على هذه الحالة . مدة أعوام فلما كمل فصاله واشتدت أوصاله وحسنت خصاله . أراد أبوه أن يأخذه منى ويبعده عنى فقال القاضى للرجل قد سمعت مقال زوجتك فما عندك من الجواب قال صدقت ولكنى حملته قبل أن تحمله ووضعته قبل أن تضعه وأريد أن أعلمه العلم وأفهمه الحكم فقال القاضى للمرأة ما تقولين فى جواب كلامه قالت صدق فى مقاله : ولكن حمله خفا وحملته ثقلا ووضعه شهوة ووضعته كرهاً فتعجب القاضى من كلامها وقال للرجل ادفع لها ولدها فهى أحق به منك . ومن الحكم المأثورة عن النبى إلى الامام على قال عليه الصلاة والسلام يا على من كثرت ذنوبه ذهب بهاؤه أصدق وإن ضرك فى العاجل فانه ينفعك فى الآجل وعليك بالصدق وحفظ الأمانة وسخاء النفس وعفة البطن يا على ألف صديق قليل وعدو واحد كثير والصداقة علامات . أن تجعل ماله دون مالك ونفسه دون نفسك وعرضه دون عرضك يا على لا توبة للتائب حتى يغسل بطنه من الحرام ويطيب لباسه اذا أتى على المؤمن أربعون صباحا ولم يجالس العلماء مات قلبه وجسر على الكبائر

لأن العلم حياة القلب وان الله لا يستحى من عذاب غنى سارق وعالم فاسق ياعلى لا تعير أحداً بما فيه فما من لحم إلا وفيه عضة ولا كفارة للغيبة حتى يستحله ويستغفر له وما خلق الله فى الانسان أفضل اللسان به يدخل الجنة وبه يدخل النار فاسجنه فانه كلب عقور. ياعلى الدين كله فى الحياء وهو أن تحفظ الرأس وما حوى والبطن وماعوى . ياعلى لادين لمن لاخشية له ولاعقل لمن لاعصمة له ولا إيمان لمن لاروع له . ولاعبادة لمن لاعلم له . ولا مروءة لمن لاصداقة له . ولا أمان لمن لاسر له . ولاتوبة لمن لاتوفيق له . ولاسخاء لمن لاحياء له . ومن لم يكن له ورع يرده عن المعاصى فبطن الأرض خير له من ظهرها لأنه لا إيمان فى قلبه . إن الرجل ليبلغ بالخلق الحسن درجة الصائم القائم المغازى فى سبيل الله . ياعلى كن بشاشاً فان الله يحب البشاشين ويبغض العبوس الكريه الوجه ياعلى رأس العبادة الصمت إلامن ذكرالله . وكثرة النوم تميت القلب وتذهب البهاء . وكثرة الذنوب تقسى القلب وتورث الندم . من أنعم الله عليه فشكر ومن ابتلاه فصبر وإذا أساء استغفر دخل الجنة من أى باب شاء . ياعلى لاتفرح فان الله لايحب الفرحين وعليك بالحزن فان الله يحب كل قلب حزين وما من يوم جديد إلا ويقول ياابن آدم أنا يوم جديد وأنا على عملك شهيد فانظر ماذا تفعل وأمثلة الدنيا كثيرة ذكرتها لكى تزهو الانسان وتذكره بالآخرة والآخرة خير وأبقى المثال الأول مثل الدنيا كالرباط على قوم ويرحل بقوم والمثال الثانى هى كالثوب يشق من أوله إلى آخره فيبقى معلقاً بخيط فى آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع مثال الانسان والأمل والأجل كمثل شخص وراءه الأجل وأمامه الأمل فبينما هو يطلب الأمل إذ أتاه الأجل فاحتبسه . مثال آخر للدنيا كمثل قوم نزلوا فى سفينة فاقتسموا المواضع فبلغوا جزيرة فنزلوا لقضاء حاجة وصاحب السفينة ينادى أنا النذير والموت المغير ألا عجلوا عجلوا فقد أزف الرحيل فتفرقوا ثلاثة فرق فرقة

كانوا أعقل الناس تطهروا ورجعوا فوجدوا مكانهم خالياً فجلسوا واستراحوا وفرقة اشتغلوا بنضارة الجزيرة والنظر إلى مزخرفاتها وأعاجيبها من أفانين الطيور والأصوات فلما انصرفوا وجدوها قد امتلأت بالقوم فضاقت عليهم الارض بما رحبت فجلسوا على التعب الشديد وفرقة أخرى كانوا أحمق الناس وأجهلهم اشتغلوا بالنضارة والحديث وجمع آلات الجزيرة وأخذها حتى سيفت السفينة ولم يسمعوا نفير صاحبها فبقوا فى الجزيرة مقيمين متحيرين حتى هلك بعضهم بالجوع وبعضهم بافتراس السباع فالفرقة الاول مثال المؤمنين المتقين والفرقة المتخلفة مثال الكافرين والفرقة المتوسطة مثال العاصين خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً . مثال آخر هى كطريق مسافر فأول منزله المهد وآخره اللحد فكل سنة منزل وكل شهر فرسخ وكل يوم ميل وكل نفس خطوة وهن يمرون على الدوام والناس مسافرون فمن مسافر فى المنزلة وآخر بقى له فرسخ وآخر بقى له ميل وآخر خطوة فى دار الغرور . مثال آخر مثل أبناء الدنيا كقوم نزلوا دار قوم ضيافة فرأوا دار مزخرفه وأوانى موضوعة وفرشاً مبثوثة فمن كان عاقلا يكون همه الانصراف عاجلا ومن كان أحمق يستطيب المكان ويلزم الموضع لا يبرح منه وينسى أنه مدعو وأنه ضيف والضيف مرتحل فكل من طمع فى مال المضيف يكون مغموماً أبدا وكل من يتبلغ ويخرج يكون مريحاً مستريحاً فكذلك صاحب الدنيا أمر بالتزود فاذا طمع فى الخلود والمقام فقد طمع فى غير مطمع والطمع يهدى إلى طبع أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون مثال آخر وكمن أكل طعاماً شهياً وأسرف فى أكله حتى أتخمه وأفسد معدته ثم جلس خذلاناً نادماً يوبخ نفسه فيما فعل ويقول ذهبت اللذة وبقيت التبعة بذلك فكل طعام يكون أطيب وأشهى فتفله يكون أنتن وأفضح فكل من كانت لذته فى الدنيا أكثر وما له أوفر وعيشه أهنأ فحسرته أعظم ممن دون ذلك وكل من

كانت ضياعه وأملاكه وخدمه وحشمه ودرهمه وديناره أكثر تكون له الغمرات أعظم وأمثلة الدنيا كثيرة ولو طولناها لطالت وقال الامام الشافعى رضى الله عنه لوكانت لى الدنيا بعتها برغيف وذلك لما أعلم من عيوبها وآفاتها وقال أبو حنيفة رضى الله عنه الدنيا أحدوثة فكن أنت من أحسن أحاديثها وقال احمد رضى الله عنه من أراد أن يكون عزيزاً فى الدارين فليزهد فى الدنيا وقال مالك رضى الله عنه مارعب أحد فى الدنيا إلا انصرف عنها بندم وخجل وحسرة وقال سفيان الثورى وجدت الراحة والأنس فى الخلوة والزهد فى الدنيا ووجدت الغموم والأحزان فى مخالطة الناس والرغبة فى الدنيا وقال داود الأصفهانى من رغب فى الدنيا حرم الحكمة وقال الأشعرى من رغب فى الدنيا فقد أحب ماأبغضه الله تعالى وأنبياؤه وخالف الأنبياء والصالحين وأقول من أحب الدنيا قتل كالدبة تمنع الذباب عن وجه فقتلته بالحجر من حباله ولله در القائل .

ومن صحب الدنيا على جور حكمها ... فأيامه محفوفة بالمصائب

وقال النبى عليه الصلاة والسلام (الدنيا ملعونة ملعون مافيها إلا ما كان لله) وفى الختام أرجو من الله أن يوفق جميع المسلمين لما فيه الرشاد والسداد آمين :

الباب الحادى عشر — التصوف

أخى المؤمن اعلم وفقنى الله وإياك أن علم التصوف هو أشرف العلوم وأفضلها وهو حياة القلوب والأبصار به تشرق الأنوار والتجليات والأسرار والمصافاة فى قلوب الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ويسمى علم الباطن فالشريعة أقوال الرسول والطريقة أفعاله والحقيقة هى ثمرة الشريعة والطريقة . فالشريعة آلة تنير لك الطريق فاذا سلكت فى الطريق وجدته منيراً ورأيت أمامك مكاناً مرتفعاً محفوفاً بالأنوار

مملوءاً بالخيرات الحسان وفيه ما لذ وطاب فلما وصلت إليه نادتك هواتف الطبيعة الذى تطلبه أمامك فعرج به إليه لجلس فى بساط الانس والشهود فهذه هى الحقيقة فالحقيقة جنة تجرى من تحتها الانهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار . فالشريعة كالسفينة والطريقة كاللؤلؤ فأنت نزلت البحر بالسفينة والسفينة لا تجرى على اليابس ومن البحر إلى اللؤلؤ . ولا تظن يا أخى أنى أخذت طريقة الصوفية ولكنى أحبهم حباً جما ومن أحب قوم حشر معهم وأرجو من الله أن يفتح على جميع المسلمين بالانتساب لطريقهم العلية آمين قال الامام مالك رضى الله عنه من تشرع ولم يتحقق فقد تفسق ومن تحقق قبل أن يتشرع فقد تزندق صدق فى قوله معنى ذلك أن العالم الذى تشرع وفقه فى دين الله ولم يجاهد نفسه التى بين جنبيه فقد تفسق . أما العالم الذى يجاهد نفسه بالرياضات كالصوم والزهد فى الدنيا وفى الناس والقيام بالليل والناس نيام والبكاء من خشية الله لانهم هم أهل الخشية قال تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) يفتح له باب الافهام ويتحقق ويملأ الله قلبه نوراً وإيمانا :

إذا أخليت قلباً من سواه وجدت النور وضاء مبينا

لجاهد ما بقيت وكن مريداً تكن لله صديقـــاً أمينا

فى هذه الحالة يكون العالم قد تم إيمانه وإن إلى ربك المنتهى أما من تحقق ولم يتشرع فقد تزندق ومعنى ذلك لو أن رجلا جاهلا لم يعرف كتاب الله ولا يفقه فى دين الله ويدعى التصوف افتراء من نفسه لأجل أن يصرف وجوه الناس إليه ويأخذ من أموالهم فقد تزندق . أما لو بحثت معى فى الحقيقة عن الزنديق فأقول انظر إلى بعقلك نفرض أن شاباً صغيراً لم يجلس أمام معلم ولم يقرأ كتاباً ولا يعرف كتابة أصلا ولكن اختصه الله برحمته وملأ قلبه إيماناً ونوراً وجعله من أهل العناية قال تعالى (يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) ونطق الشاب بالحكمة والحقيقة والاشارة

هل يكون زنديقاً أى كافراً كلا ليس المراد من الزندقة هنا الكفر بل المراد هنا القطب وهذا الشاب الذى تحقق قبل أن يتشرع فقد تشرع قال تعالى (وعلمنا من لدنا علما) وقال تعالى (إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) يعنى حقيقة وقال سيدنا معروف الكرخى رضى الله عنه (التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما بأيدى الخلائق) وقال الجنيد (ماأخذنا التصوف عن القيل والقال بل عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوف وقال : طريق التصوف عنوة لاصلح فيه وقال : التصوف تجنب كل خلق دنى واستعمال كل خلق سنى وأن تعمل لله من غير رؤية العمل) وقال أبو على أحمد الروذبارى رضى الله عنه (إذا قال الصوفى بعد خمسة أيام أنا جائع فالزموه السوق وأمروه بالكسب وقال : التصوف الأناخة على باب الحق وإن طردوه وسئل عن التصوف فقال : هو صفوة القرب بعد كدورة البعد) وقال المغربى الزجاجى رضى الله عنه (التصوف الاعتصام بالحقائق عند تباين الطرائق وقيل : أحوال قاهرة وأخلاق طاهرة وحقائق ظاهرة) وقال أبو بكر الصديق (التصوف تفرد العبد بالواحد الصمد الفرد وقال : التصوف تطليق الدنيا بتاتاً والاعراض عن منالها ثباتاً وقال : التصوف الجد فى السلوك الى ملك الملوك وكان يتمدم على المضار لما يؤمل من المسار وقد قيل : التصوف السكون الى اللهيب فى الحنين الى الحبيب وكان يقوم الحقير معتاضاً للخطير وقد قيل: التصوف وقف الهمم على مولى النعم وقد قيل : التصوف استنفاد الطوق فى معاناة الشوق وترجئة الأمور على تصفية الصدور) واعلم بأن أقرب الطرائق وأسهلها على المريد الوصول الى أعلى درجات التوحيد هذه الطريقة العلية النقشبندية لأن مبناها على التصرف والقاء الجزبة المقدمة على السلوك من المرشد الداخل تحت وراثته صلى الله عليه وسلم فى قوله (ماصب الله فى صدرى شيئاً الا وصببته فى صدر أبى بكر) الذى هو واسطة العقد ومؤسس هذا المجد رضى الله تعالى عنه وعلى

أتباع السنة واجتناب البدعة والأخذ بالعزائم والتخلي عن الرذائل والتحلي بأحسن من الأخلاق والفضائل ومعنى نقشبند ربط النقش وهو صورة الكمال الحقيقي بقلب المريد وكان ذكرهم في الأول إلى زمان الشيخ بهاء الدين الملقب بهذا اللقب قدس الله سره العزيز في الانفراد خفية وفي الجمع جهراً فأمرهم الشيخ المشار إليه بالخفية بأمر له من روحانية الشيخ عبد الخالق الفجدواني شيخ مشايخه في عالم السير فكان يسر في الذكر انفراداً وجمعاً هو وجماعته فيصير من ذكرهم كذلك في قلب المريد تأثير بليغ فكان يقال لذلك التأثير نقش وذلك الذكر بند أي ربط والنقش هو صورة الطابع إذا طبع به على شمع ونحوه وربطه بقاؤه من غير محو ولله در القائل :

للنقشبندية العلم العجيب بما	يحل ركب الهدى بالسر في الحرم
تمحو بصحبتها عن قلب سالكها	هم الرياضات والخلوات والهمم
لها سلاسل من نظم الأسود فهل	يحتال ثعلبة في حل انظمهم
أن ينسب القاصر الفهم التصور لها	فحاش لله أن يجري بذاك فمي

وقال الجنيد (التصوف جامع لعشر خصال التقلل من كل شيء في الدنيا مع القدرة عليه واعتماد القلب على الله سبحانه وتعالى مع عدم السكون الى الأسباب والرغبة في الطاعة بما استطاع منها والصبر عند فقد الدنيا على المسئلة والشكوى والتمييز في الشبهات والحلال والشغل بالله تعالى عمن سواه ودوام الذكر له بالقلب واللسان وتحقيق الاخلاص مع الصدق واستواء السريرة والعلانية ودوام المراقبة لله مع السكون اليه في جميع الأحوال فاذا اجتمعت هذه الخصال كان الصوفي في أول مراتب المحبة ثم يرقى الى حالة المشاهدة فيؤخذ منه اليه ويبقى معه في ميدان المحبة والدهشة انتهى) ولم يزد أحد في بيان حقيقة المشاهدة على ما قاله عمرو بن عثمان المكي رضي الله عنه وهي أن تتوالى أنوار التجلي على قلب العارف من غير أن يتخللها ستر وانقطاع كما لو

فرض اتصال البروق فى الليلة المظلمة حتى تصير كالنهار لاتصال البروق بها ، كذلك قلب العارف باتصال أنوار التجلى حتى يصير دائم النهار غائب الليل وأنشدوا :

ليـــلى بوجهك مشرق   وظـلامه فى الناس سارى

فالناس فى سدف الظـلا   م ونحن فى ضوء النهار

فشمس النهار تغيب وشمس القلوب ليست تغيب ولا تقل يا أخى أين الاولياء والاولياء كثيرون كالنجوم فى السماء فهم نجوم الأرض . فالعالم كشخص بلا روح والأولياء أرواحهم . مادام العالم موجوداً فالأولياء موجودون لأن الانسان لا يعيش بدون روحه وقد قال تبارك وتعالى (ماننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير) يعنى من ولى كما قال فتح الله البنانى وفى الختام أرجو من الله أن يجعل جميع المسلمين من الأولياء آمين .

الباب الثانى عشر — نبذة فى أقوال مشايخ الصوفية

أخى المؤمن اعلم وفقنى الله وإياك أن وجود الاولياء فى الأرض رحمة بالناس وهداية لهم فى طريقهم فنبدأ بعون الله بسيدى مدين الغوث العارف بالله تعالى تاج الدين بن عطاء الله السكندرى وقد ألف قصيدة فى آداب الطريق أعرضها عليك لتطلع عليها وله حكم كثيرة يطول الكلام عنها فى هذه العجالة فقال :

ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا   هم السلاطين والسادات والأمرا

فاصحبهم وتأدب فى مجالسهم   وخل حظك مهما قدموك ورا

واستغنم الوقت واحضر دائماً معهم   واعلم بأن الرضا يختص من حضرا

ولازم الصمت إلا إن سئلت فقل   لاعلم عندى وكن بالجهل مستترا

ولا تر العيب إلا فيك معتقداً   عيباً بدا بيناً لكنه استترا

وحط رأسك واستغفر بلا سبب — وقم على قدم الا ُنصاف معتذا
وإن بدا منك عيب فاعترف وأقم — وجه اعتذارك عما فيك منك جرى
وقل عبيدكو أولى بصفحكمو — فسامحوا وخذوا بالرفق يافقرا
هم بالتفضل أولى وهو شيمتهم — فلا تخف دركا منهم ولا ضررا
وبالتفتى على الأخوان جد أبداً — حساً ومعناً وغض الطرف إن عثرا
وراقب الشيخ فى أحواله فعسى — يرى عليك من استحسانه أثرا
وقدم الجد وانهضّ عند خدمته — عساه يرضى وحازر أن تكن ضجرا
ففى رضاه رضى البارى وطاعته — يرضى عليك فكن من تركها حذرا
واعلم بأن طريق القوم دراسة — وحال من يدعيها اليوم كيف ترا
متى أراهم وأنى لى برؤيتهم — أو تسمع الأذن منى عنهم خبرا
من لى وأنى لمثلى أن يزاحمهم — على موارد لم ألف بها كدرا
أحبهم وأداريهم وأوثرهم — بمهجتى وخصوصاً منهم نفرا
قوم كرام السجايا حيثما جلسوا — يبقى المكان على آثارهم عطرا
يهدى التصوف من أخلاقهم طرقاً — حسن التألف منهم راقنى نظرا
هم أهل ودى وأحبابى الذين هم — ممن يجر ذيول العز مفتخرا
لا زال شملى بهم فى الله مجتمعاً — وذنبنا فيه مغفوراً ومغتفرا
ثم الصلاة على المختار سيدنا — محمد خير من أوفى ومن نذرا

انتهت القصيدة واقرأ شرحها عنوان التوفيق فى آداب الطريق وتكلم بعون الله بسيدنا معروف الكرخى فقال (حقيقة الوفا افاقة السر من رقدة الغفلات وفراغ الهم من فضول الآفات) وكان أبواه نصرانيين فسلماه للمعلم طفلا فصار يقول له قل ثالث ثلاثة فيقول بل إله واحد فضربه ضرباً مبرحاً فهرب منه وكان أبواه يقولان ليته يرجع إلينا على أى دين شاء فتوافقه عليه ثم انه أسلم على يد على بن موسى الرضا

ورجع إلى أبويه فدق الباب فقيل له من بالباب فقال معروف فقيل له على أى دين فقال على الاسلام فأسلم أبواه وقال معروف إذا أراد الله بعبد خيراً فتح عليه باب العمل بما علم وأغلق عنه باب الجدل وإذا أراد به شراً فعكسه وقال توكل على الله حتى يكون هو معلمك ومؤنسك وموضع شكواك وليكن ذكر الموت جليسك لا يفارقك وقال طول الأمل يمنع خير العمل وقال كيف يكون تقياً من لا يدرى ما يتقى وقال طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور ورجاء رحمة من لا يطاع جهل وحمق وقال السخاء إيثار ما تحتاج إليه عند الاعثار وقال ما أكثر الصالحين وما أقل الصادقين منهم وقال لولا خروج الدنيا من قلوب العارفين ما قدروا على فعل الطاعات ولو بقى من حبها ذرة فى قلوبهم ما سلمت لهم سجدة واحدة وقال العارف يرجع إلى الدنيا اضطراراً والمفتون اختيارا وقال إذا عمل العالم بعلمه استوت له قلوب المؤمنين فلا يكرهه إلا من بقلبه مرض وقال إذا أراد الله بعبد خيراً زوى الخذلان عنه وأسكنه بين الفقراء الصادقين وإذا أراد به شرا عطله عن العمل الصالح وأسكنه بين الأغنياء وقال شفاء كل بلاء نزل بالعبد كتمانه فان الناس لا ينفعونه ولا يضرونه ولا يعطونه ولا يمنعونه وقال ليست المحبة من تعليم الخلق بل من مواهب الله وقال إنما الدنيا قدر تغلى وكنيف يملى وقال احفظ لسانك من المدح كما تحفظه من الذم وقال لى بعض أصحاب داود الطائى إياك أن تترك العمل فان ذلك الذى يقربك إلى رضا مولاك فقلت وما ذاك العمل قال دوام الطاعة لمولاك وحرمة المسلمين والنصيحة لهم وقال محمد بن الحسن سمعت أبى يقول رأيت معروفاً الكرخى فى النوم بعد موته فقلت ما فعل الله بك فقال غفر لى فقلت بزهدك وورعك فقال لا: بل بقبول موعظة ابن السماك ولزومى الفقر ومحبتى للفقراء وكانت موعظة ابن السماك ما رواه معروف قال كنت ماراً بالكوفة فوقفت

على رجل يقال له ابن السماك وهو يعظ الناس فقال خلال كلامه (من أعرض عن الله بكليته أعرض عنه جملة ومن أقبل على الله تعالى بقلبه أقبل الله تعالى برحمته عليه وأقبل بوجوه الخلق إليه ومن كان مرة ومرة فالله تعالى يرحمه وقتاً ما فوقع كلامه فى قلبى وأقبلت على الله تعالى وتركت جميع ما كنت عليه إلا خدمة مولاى على بن موسى الرضا وذكرت هذا الكلام لمولاى فقال يكفيك هذه الموعظة إن اتعظت وكان يهدى إليه طيبات الطعام فيأكل فيقال ما إن أخاك بشرا لا يأكله فيقول أخى قبضه الورع وأنا بسطتنى المعرفة إنما أنا ضيف فى دار مولاى مهما أطعمنى أكلت) وتكلم بعون الله الكلام على أقوال الإمام الحسن السرى السقطى خال الجنيد وأستاذه وانتهت إليه مشيخة الصوفية قال: القلوب ثلاثة قلب كالجبل لا يزعزعه شىء وقلب كالنخلة أصلها ثابت والريح تميلها وقلب كالريشة تميلها الريح يميناً وشمالا وقال علامة الاستدراج العمى عن عيوب النفس والاطلاع على عيوب الناس وقال من أحب أن يسلم له دينه ويقل غمه وهمه فليعتزل الناس وقال عجباً لضعيف كيف يعصى قويا وقال أهل الحقائق من أكله أكل المرضى ونومه نوم الغرقى وقال الدنيا أفاعى العلماء وسحارة قلوب الفقراء والقراء وقيل له كيف الطريق إلى الله فقال إن أردت العبادة فعليك بالصيام والقيام وإن أردته فاترك كل ما سواه تصل إليه وليس إلا المساجد والخزاب وقال اطلب حياة قلبك بمجالسة أهل الفكر واستجلب نور القلب بدوام الحزن وألح فى المسئلة عند وجل القلوب وإياك والتسويف وكان رضى الله عنه ينشد كثيراً ويقول :

لا فى النهار ولا فى الليل لى فرح ... فما أبالى أطال الليل أم قصرا

لأننى طول ليلى هائم دنف ... وبالنهار أعانى الهم والفكرا

وقال رضي الله عنه أرقت ليلة فلم أطق القميص مع خدمته من التهجد وكثرة التفكر فلما صليت الفجر خرجت لا يقر لى قرار فقلت أمضى لبعض الوعاظ لعلى أجد لقلبى راحة فلما وقفت عليه وجدت قلبي لا يزداد الا قساوة فقلت أمضى إلى الشرطة لعلى أعتبر بمن يعاقب فى الدنيا فلما مضيت وجدت قلبي على حاله فقلت أمضى الى المارستان لعلى أعتبر بمن قد ابتلى فلما دخلت المارستان وجدت قلبي قد انفتح وارتاح فرأيت جارية جالسة على سرير من أحسن الناس وجهاً وعليها أطمار حسنة وشممت منها رائحة طيبة وهى غضيضة النظر مقيدة الرجلين مغلولة اليدين فلما رأتنى تغرغرت عيناها بالدموع وأنشدت :

أعيذك أن تغل يدى ... بغير جريمة سبقت

وبين جوانحى كبد ... أحس بها قد احترقت

تغل يدى الى عنق ... ولا خانت ولا سرقت

فلو قطعتها قطعاً ... وحقك عنك ما برحت

قال السرى فلما سمعت كلامها قلت للقيم ما هذه الجارية فقال جارية مجنونة حبسها مولاها لكى تصحو قال فأردت الدنو منها فقال لى القيم لا تقرب منها فان الذى بها عظيم فلما سمعت كلام القيم تغرغرت عيناها بالدموع وأنشدت :

معشر الناس ماجننت ولكن ... أنا سكرانة وقلبى صاحى

أنا مجنونة بحب حبيب ... لست أبغى عن بابه من براح

وصلاحى الذى رأيتم فسادى ... وفسادى الذى رأيتم صلاحى

ما على من أحب مولى الموالى ... وارتضاه لنفسه من جناح

فلما سمعت ذلك منها أقلقنى وأبكانى فلما رأتنى على تلك الحالة قالت ياسرى بكاؤك هذا على ذكر صفته فكيف لو عرفته حق معرفته ثم بكت وأنشدت :

ألبستني ثوب وجد طاب ملبسه ... فأنت مولى الورى حتماً ومولا ئي
كانت بقلبي أهواء مفرقة ... فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائي
فصار يحسدني من كنت أحسده ... وصرت مولى الورى اذ صرت مولائي
تركت للناس دنياهم ودينهم ... شغلا بحبك يا ديني ودنيائي
من غص داوى بشرب الماء غصته ... فكيف يصنع من قد غص بالماء
والشوق خاطرى مني وفى كبدى ... والحب مني مقيم بين أحشائي

قلت ياجارية قالت لبيك ياسرى قلت ومن أين عرفت اسمى وما رأيتك قبل هذا فقالت عرف بيني وبينك علام الغيوب قلت لها ومن حبسك وماسبب حبسك وأنت على هذه المعرفة والأخلاص فى الحب قالت ياسرى زعموا أني مجنونة وهم أولى باسم الجنون مني ثم بكت طويلا ثم قلت لها ما اسمك قالت تحفة فقلت لقيم المارستان حل عنها قيدها وانزع الغل من عنقها ففعل ثم تحادثنا ساعة واذا مولاها قد أقبل فلما رآني سلم على وأعظمني فقلت يافتى انها بالأعظام أولى مني فما الذى تفكر من هذه الجارية قال كثرة بكائها وأنينها وهى ذاهلة العقل طول ليلها قائمة لاتنام ولاتدعنا ننام وهى والله بضاعتي شريتها بخمسمائة دينار لحسن صنعتها قلت ماصنعتها قال عوادة تضرب بالعود قلت سبب ذلك قال بينما هى تغنى وعودها فى حجرها وهى تقول :

ملأت جوانحى والقلب وجدا ... فكيف أقرأ وأسلى وأهدا
وحقك لا نقضت الدهر عهدا ... ولا كدرت بعد الصفو وردا
فيا من ليس لى مولا سواه ... تراك رضيتنى فى الناس عبدا

إذ رمت العود فكسرته فهذا كان سبب جنونها فلما سمعت الجارية ذلك أنشدت .

خاطبني الحق من جنانى ... فكان وعظى على لسانى
قربني منه بعد بعد ... وخصني منه واصطفانى
أجبت لما دعيت طوعاً ... ملبياً داعياً دعانى

فقلت لمولاها أطلق سبيلها وعلى خمسمائة دينار أدفعها لك فى غد إن شاء الله تعالى فقال تكون مقيمة فى موضعها هذا حتى تحضر المال أو تفيق من الجنون قال السرى فانصرفت وأنا باكي العين حزين القلب على الجارية فلما كان جوف الليل وإذا بالباب يطرق فخرجت فوجدت خمسة من الرجال فقلت ماحاجتكم فقال أحدهم أخ فى الله تعالى جاء لسبب من الأسباب باذن الملك الوهاب ففتحت فقال أتأذن فى الدخول فقلت نعم فدخل ومن معه وعلى أكتافهم أربع بدر دنانير وبيد الغلام شمعة فقال أتعرفنى قلت لا قال أنا احمد بن المثنى بينما أنا نائم وإذا هاتف يقول يابن المثنى هل لك فى معاملة المولى جل جلاله فقلت يافرحي إن كنت للرق أصلح فقال احمل من مالك أربع بدر إلى سرى السقطى يشترى بها تحفة فان لنا بها عناية وقد جعلناها من أهل الولاية واعلم مولاها ان الله سيفتح عليه من حيث لا يحتسب فقمت وسارعت إلى ماأمرت وهذا المال قد جئت به قال السرى فسجدت شكراً لله تعالى على هذه النعمة الجديدة ولم يزل إلى أن طلع الفجر فلما صلينا الصبح أتينا المارستان وإذا قيم المارستان على الباب فلما رآنى قال جئت من أجل تحفة قلت نعم وحكيت له ماقال ابن المثنى من كلام الهاتف ثم دخلنا المارستان ومعنا القيم فلما رأتنا تغرغرت عيناها بالدموع وأنشدت تقول :

قد تصبرت إلى أن عيل فى حبك صبرى
ليس يخفى عنك أمرى يامنى قصدى وذخرى
أرى تعتق رقى أو تفك اليوم أسرى

فبينما نحن جلوس وأنا أقول لها قد أجيبت الدعوة إذ دخل مولاها حزيناً متغير اللون باكياً فقلت لا تبكى قد فرّج الله عز وجل وقد حصل المال مثل ماأردت وإذا طلبت ربحاً أعطيناك ولو أنه خمسة آلاف دينار فقال لا فعلت ولوكان ملء الأرض ذهباً وفضة فقلت يافتى ماهكذا كان كلامك بالأمس فقال هيهات ياسرى لو تعلم ماجرى على

من التوبيخ البارحة وماهتف بي الهاتف اعلموا أن هذه الجارية حرة لوجه الله تعالى وجميع ماأملكه صدقة لله تعالى فالتفت فاذا ابن المثنى يبكى بكاء شديدا فقلت له مايبكيك فقال إن الله عزوجل لم يرضنى فقلت له قد وقع الأجروحصلت النية ونية المرء خير من عمله ولم أزل أسكنه حتى سكن مابه ثم قال لى ياسرى هذا المال خرجت عنه لله تعالى ولاسبيل إلى الرجوع به وإنما هو وباقى مالى صدقة وكل ريع لى فهو حبس فى سبيل الله تعالى وكل مملوك لى فهو حر لله تعالى وأنا هارب إلى الله تعالى تائب إليه من جميع ذنوبى فقامت الجارية فنزعت ماكان عليها ولبست مدرعة من الشعر وخماراً من الصوف وقامت تمشى معنا وهى تبكى وتقول :

ياسرور القلوب أنت سرورى ووصالى وأنت نور النور
كم ترى يصبر المحب عن الحب وكم يلبث الهوى فى الصدور

ثم قالت : واطول حزناه ثم فارقتنا ومضت وهى تقول :

بكيت منه عليه هربت منه إليه
وحقه وهو سؤلى لازلت بين يديه
حتى أنال وأحظى بما اتكلت عليه

قال السرى ثم غابت عنا فلما كان فى بعض السنين حججت أنا ومولاها فبينما نحن فى الطواف إذ سمعت صوتاً حزيناً من امرأة تنادى بالبكاء ياسيدى فلما رأتنا أنشدت :

محب الله فى الدنيا سقيم تطاول سقمه فدواه داه
يهيم بحبه شوقاً إليه فليس يريد محبوباً سواه
كذلك كل من يدعى محباً يهيم بحبه حتى يراه

ثم سقطت مغشياً عليها فلما أفاقت أنشدت :

أموت وماماتت لديك صبابتى ولارويت من فرط حبك أوطارى

منـــاى المنى أنت لى المـــنى   وموضع أشواقى ومكنون أسرارى
ألست دليل القوم إن هم تحيروا   ومنقذ من أشفى على جرف هـار

فتقدمت إليها فاذا هى تحفة فقلت لها ما وهبك الله بانقطاعك عن الخلق فقالت آنسنى بقربه وأوحشنى من خلقه فقلت ياتحفة إن ابن المثنى قد مات فقالت رحمه الله وغفر له إنى لأرجو له من الله تعالى كل خير ونعيم وزلفى وسيجزيه الله عز وجـل بكل درهم أنفقه فى سبيل الله سبعمائة ضعف إلى أضعاف مضـاعفة ثم قال الهى وسيدى ومولاى أسألك بنور وجهك الذى أشرقت به الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن تقبضنى إليك إلى كم أبقى فى دار الدنيـا محزونة الهى قد طال شوقى إليك فعجل ربى قبض روحى إليك يا أرحم الراحمين ومجيب دعوة المضطرين ثم استقبلت القبلة وتشهدت فماتت رحمها الله تعالى فما أعظم بركة هذه الجارية على الجميع ونتكلم بعون الله على أقوال الجنيد محمد الزجاج البغدادى رضى الله عنه الذى كان بحراً فى العلوم وهو شيخ طريق التصوف وكان يقول علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة وقال مكابدة العزلة أيسر من مداراة الخلطة وقال التصديق بعلمنا هذا ولاية إذا فاتتك المنة فى نفسك فلا تفتك أن تصدق بها فى غيرك فان لم يصبها وابل فطل وقال بنى الطريق على أربع لاتتكلم إلا عن وجود ولا تأكل إلا عن فاقة ولا تنم إلا عن غلبة ولا تسكت إلا عن خشية وقال صفاء القلوب على حسب صفاء الذكر وخلوصه عن الشوائب وقال أقل ما فى الكلام سقوط هيبة الرب جل جلاله من القلب والقلب اذا عرى من الهيبة عرى من الايمان وقال الاستئناس بالناس حجاب عن الله والطمع فيهم فقر الدارين وقال لايصفوا قلب لعمل الآخرة إلا ان تجرد عن حب الدنيـا وقال حقيقة المشاهدة وجود الحق مع فقدانك وقال العبادة على العارفين أحسن من التيجان على رؤس الملوك وقال التواضع خفض الجناح ولين الجانب وقال أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الله فى ميدان ذكر التوحيد وقال أول مقـام التوحيد قول المصطفى صلى الله عليه وسلم

أن تعبد الله كأنك تراه وقال الشفقة على الناس أن تعطيهم من نفسك ما يطلبون ولا تحملهم إلا ما يطيقون ولا تخاطبهم بما لا يعلمون وقال من شارك السلطان فى عز الدنيا شاركه فى ذل الآخرة وقال إذا أراد الله عبدا للمحبة كشف له عن قدر إنعامه عليه وبره إليه وكثرة الأيادى القديمة عنده وقال الورع فى الكلام أشد منه فى الكسب وقال أعلم الناس بالآفات أكثرهم آفة وسئل عن العشق فقال لا أدرى ما هو لكن رأيت رجلا أعمى عشق صبياً وكان الصبى لا يتمادى له فقال له الأعمى أى شىء تريد منى قال روحك ففارق روحه حالا وتكلم بعون الله على الضرغام البسطامى رضى الله عنه أشهر من أن يذكر وأعرف من أن يعرف كان نادرة زمانه حالا وقالا وأنفاساً وورعا وعلماً وتقى ووجداً وزهداً وهو سلطان العارفين وكان إذا ذكر الله يبول الدم وقال أبو يزيد البسطامى أوقفنى الحق بين يديه وقال يا أبا يزيد بأى شىء جئتنى قلت بالزهد فى الدنيا قال انما مقدار الدنيا عندى جناح بعوضة ففيم زهدت قلت الهى أستغفرك من ذلك جئت بالتوكل عليك قال ألم أكن ثقة فيما ضمنت لك قلت أستغفرك جئتك بك أو قال بالافتقار إليك فقال عند ذلك قبلناك وقرئ عليه أن بطش ربك لشديد فقال بطش أشد ووجهه كما قال سيدنا الشيخ الأكبر قدس الله سره أن بطش العبد بطش معرى عن الرحمة فليس عنده حال بطشه من الرحمة شىء وبطش الحق بكل وجه فيه رحمة بالمبطوش به فهو الرحيم له فى بطشه وسئل من أين تأكل فقال مولاى يطعم الكلب والخنزير أفلا يطعم أبازيد وقال ليس العالم من يحفظ من كتاب فأذانى ماحفظ صار جاهلا بل من يأخذ العلم من ربه أى وقت شاء بلا حفظ ولا درس وهذا هو العالم الربانى وقال طلقت الدنيا ثلاثاً وسرت إلى ربى وحدى فناديته الهى أدعوك دعاء من لم يبق له غيرك فعلم صدقى فأنسانى نفسى بالكلية ونصب الخلق بين يدى مع اعراضى عنهم وقال لله عباد لو حجبهم فى الجنة عن رؤيته

لاستغاثوا بالخروج من الجنة كما يستغيث بالخروج أهل النار من النار وقال ما دام
العبد يظن فى المسلمين من هو شر منه فهو متكبر وسئل متى يكون الرجل متواضعاً
فقال إذا لم ير لنفسه مقاماً ولا حالا ولا يرى أن فى الخلق من هو شر منه وقال أشد
المحجوبين عن الله ثلاثة الزاهد بزهده والعابد بعبادته والعالم بعلمه مسكين الزاهد
لو أن الدنيا كلها سماها الله قليلا ما زهد فيها مسكين العالم لو علم أن جميع ما أوتيه من
العلم بعض سطر واحد من اللوح المحفوظ ما نظر لعلمه وقال محال أن تعرفه ثم لا تحبه
وقال الجوع سحاب فاذا جاع العبد أمطر القلب الحكمة وقال متى وجدت قلبك مستريحاً
ودمعك جامداً وعقلك حاضراً فأنت بعيد من المحبة وقال النفس تنظر إلى الدنيا والروح
إلى الآخرة والمعرفة تنظر إلى الله فمن غلبت نفسه عليه فهو من الهالكين ومن غلبت
روحه عليه فهو من المجتهدين ومن غلبت معرفته عليه فهو من المتقين وقال رأيت رب
العزة فقلت يارب كيف أجدك قال اترك نفسك وتعال وقال عرفت الله بالله وعرفت
ما دون الله بنور الله وقال من نظر إلى الخلق بالخلق أبغضهم ومن نظر إلى الخلق بالخالق
رحمهم وتكلم بعون الله بسيدنا أبو سليمان داود بن نصير الطائى الكوفى رضى الله
عنه وكان الغالب عليه الحزن فكان يقول بالليل إلهى همك عطل على الهموم وحال بينى
وبين الرقاد وشوقى إليك النظر ومنعنى اللذات والشهوات فأنا فى سجنك أيها الكريم
وكان يترنم فى السحر بشىء من القرآن فيرى أن جميع نعيم الدنيا فى ترنمه تلك الساعة
وكان لا يسرج سراجاً أبداً وصام أربعين سنة لا يعلم به أهله وكان خرزا وكان يحمل
غداءه معه وتصدق به فى الطريق ويرجع إلى أهله ويفطر عندهم عشاء وقال صم عن الدنيا
وأفطر على الموت حتى إذا كان عند المعاينة أتاك خازن الجنان بشربة من ماء الجنة تشربها
على فراشك فتخرج من الدنيا وأنت ريان وتنزل القبر وأنت ريان وتخرج منه وأنت
ريان ويمكث الناس يترددون فى ظلمة القيامة جياعاً عطاشا ماشاء الله وأنت ريان وقال
له رجل أوصنى فقال عسكر الموت ينتظرك وقال له آخر اوصنى قال أقلل من معرفة

الناس قال زدنى قال إرض بالقليل من الدنيا مع سلامة الدين كما رضى أهل الدنيا بها مع فساد الدين وقال لا تمهر الدنيا دينك فمن أمهرها دينه زفت إليه الندم وقال اصحب أهل التقوى فانهم أيسر أهل الدنيا مؤنة عليك وأكثرهم معونة لك وقال إنى أستحى من الله أن يرانى أخطو خطوة ألتمس فيها راحة نفسى فى الدنيا حتى يخرجنى الله منها وقال مسكين ابن آدم قطع الأحجار أهون عليه من ترك الأوزار وقال لسفيان الثورى رضى الله عنهما إذا كنت تشرب الماء المبرد وتأكل اللذيذ المطيب وتمشى فى الظل فتى تحب الموت والقدوم على الله فبكى سفيان وتتكلم بعون الله بسيدنا السيد محمود أبو الفيض المنوفى الذى ألف قصيدة فى نشيد الأرواح فقال :

هيا يا سرب المعالى	نحــو أبـواب السماء
وأنشدوا لحن الجمال	واغنموا وقت الصفاء
واخلعوا الجسم وطيروا	واهجروا كون الفناء
واسبقوا ريح الشمال	فى ميادين الفضاء
نحو أوطان الكمال	والسعادة والنقاء
واطرقوا الباب وقولوا	افتحوا يا أهل العلاء
كلنا صب مشوق	كلنا يرجو اللقاء
فاكرمونا واقبلونا	وافتحوا باب الضياء
فاذا احتجوا وقالوا	إنكم طين وماء
أرضكم دار الفساد	طبعكم سفك الدماء
عاقكم جسم كثيف	عن سبيل الأصفياء
فاحسنوا الرد وقولوا	نحن أبناء السماء
قد هبطنا من علو	إمتثالا للقضاء
وسكنا الارض حينا	لامتحان وابتلاء

وظهور لصفات	حيث نحن الخلفاء
واعتمد عدنا إليكم	نرتجي كشف الغطاء
وبكم حقاً وعدنا	مثلكم دار البقاء
ولنا فيها مقام	وخلود وهناء
ولنا رب رحيم	ونصير الأتقياء
وهو وهاب حكيم	وكريم فى العطاء
وهو للداعي مجيب	وسميع للدعاء
لطفه منا قريب	فى ظهور وخفاء
سرنا سر عجيب	ضل فيه الأذكياء
جسمنا رمز بديع	ألغزته القدماء
ذاتنا كنز ثمين	أعي فهم الحكماء
وهي مرآة العلوم	وهي قصد الأنبياء
وهي خلق وهي أمر	وهي عرش واستواء
وهي لاهوت التجلى	وناسوت الاصطفاء
وهي شمس الذات فينا	وهي نور وسناء
فأكثروا الشكر جميعاً	فهو أصل الأجتباء
ثم صلوا كل حين	فى صباح ومساء
على أصل النور طه	فى ابتداء وانتهاء

انتهت القصيدة واقرأ شرحها لابن الخطاط الطهطاوى تلميذه وخادمه قد تم الكتاب بحمد رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين يوم الثلاثاء ٢٥ من محرم سنة ١٣٦٤ هجرية بتوفيق الله وافى المراد وأرجو من الله أن يكون خالصاً لوجهه الكريم

(وينفع به المسلمين آمين)

الخطأ والصواب

الخطأ	الصواب	صفحة	السطر	الخطأ	الصواب	صفحة	السطر
يفقه	يفقهه	٤	١٦	وزجة	وزوجة	٣٩	١٦
المناوية	المعنوية	٦	٤	كفور	كفار	٤١	٩
لموعظة	الموعظة	٨	٢	ويصمت	أو ليصمت	٤٣	٢
بعظم	لعظم	١٠	١٢	بستب	بسبب	٤٤	١٤
للشبلى	للشبلى	١٢	١٥	حذر	خدر	٤٤	٢١
الشيخ	الشيوخ	١٧	١٩	صدف	صوف	٥٠	٩
أن لا	أن تدخل	٢٠	٢	والصداقة	وللصداقة	٥٢	١٩
عو	عز	٢٠	١٥	اللسان	من اللسان	٥٣	٣
يرض	يرضى	٢٣	٥	روع	ورع	٥٣	٣
يلى	على	٢٤	٨	تزهو	تزهد	٥٣	١٥
ويحبه	ويحبيه	٢٥	٣	فرأودار	فرأوا دارا	٥٤	١٢
البسطاسي	البسطامى	٢٨	١٦	رعب	رغب	٥٥	٥
عن	من	٣٠	٣	عن وجه	وجه صاحبها	٥٥	١٠
أثوى	آرى	٣٠	٣	الطيعة	الحقيقة	٥٦	١
فتهلكم	فتهلكهم	٣٣	٦	قوم	قوماً	٥٦	٦
وقع يده	وقع فى يده	٣٣	٦	لطريقهم	لطريقتهم	٥٦	٧
تسمى	يسمى	٣٦	١٧	وعلمنا	وعلمناه	٥٧	٢
الحق	المحق	٣٨	١٨	غفيقة	حقيقة	٥٧	٣